

من إصدارات
منتدى الفكر الإسلامي-كوردستان
(2)

تأريخ التعريب الديني

تأليف
د. عرفات كرم مصطفى ستوني
stoniati@yahoo.com

كوردستان - هولير
2008

إلى الذي حبَّبَ إليَّ طلبَ العِلمِ،
وأوصَلَنِي إلى هذه المَرَحَلَة مِنَ المَسِيرَة
العِلمِيَّة... والدي الكَرِيم.
وإلى التي رَفَعَتْ أَكْفَ الضَّرَاعَة،
داعِيَةً لِي بالتوفيق والسداد... والدي
الحبيبة.

محتويات الكتاب

- مقدمة الدكتور محمد شريف أحمد..... (3)
- تمهيد (4)
- فيلولوجيا التعريب (4)
- تأريخ التعريب (5)
- إشكالية أفضلية العرب على غيرهم (8)
- نقد رأي ابن تيمية الحراني (9)

(9)..... مناقشة رأي ابن تيمية الحراني	
(11) التعريب في اللغات	
..... إشكالية أفضلية اللغة العربية على أحواتها	
(16)	
(24) كلمة عن اللغة الكوردية	
(25) التعريب في اللباس	
(28) التعريب في الأسماء	
(29)..... أهم نتائج البحث	
(30)..... المصادر والمراجع	

مقدمة الدكتور محمد شريف أحمد

كان من أهداف منتدى الفكر الإسلامي في إقليم كردستان، يوم كان حلما يداعب مخيلة دعائه وأنصاره أن يكون منطلقا لوعي إسلامي فكري تجديدي أصيل، يعيد الإسلام من دار غربته إلى أهله، بمعنى أن يصبح الإسلام من جديد كما كان حين مبعثه، وفي الأسوة المحمدية تحريرا للإنسان وتهديبا له، ودعوة إلى المساواة بين الأفراد وبين الأقوام والشعوب والأمم، وقد فهم العقلاء هذا المعنى من الحصر الذي يؤكد شعار المسلمين في عباداتهم {إياك نعبد وإياك نستعين}.

فإذا كانت الحياة هي القيمة الأولى لوجود الإنسان، فإن هذه الحياة لا قيمة لها بدون إرادة حرة، أو بدون قدرة المرء على التعبير عن ذاته ووجوده ضمن الهيئة الاجتماعية والبيئية التي نشأ فيها، فالحرية هي مفتاح المسؤولية، وهي الكرامة التي تؤكد المبادئ الأممية والإنسانية حين الدعوة إلى حقوق الإنسان. حين يعود الإسلام دعوة إلى الحرية، ومسلكا إلى العقول والقلوب، لا انغلاقا ولا تجميدا ولا حصرًا بلغة دون أخرى، حينذاك يظل الإسلام ثقافة مستنيرة مستجيبة لحاجات العصر، ومتعاملة مع تحدياته، دون أن يغادر قيمه الأصلية، وحاجة الإنسان الإيمانية الروحية. والمؤسف أن كثيرين استغلوا سماحة الإسلام وقدسيته، وحرفوا كلماته ومقاصده الجميلة لمآرب سياسية أو لأغراض عنصرية، وأبسط مثال على ذلك ما شاع وانتشر في التاريخ الإسلامي من ربط الإسلام بالتعريب، أو اعتبار التعريب في اللغة والأسماء من مقتضيات الصدق في الإسلام والإيمان، كما كان يجري ضد أحرار الشعب الكوردي على التمسك بأداب لغته وقومه رغم صدقه في دينه. وإن هذا البحث القيم الذي قدمه الباحث الدكتور عرفات كرم مصطفى المكنى بأبي شوينكار يعكس بصدق الوعي التجديدي الذي تبتغيه المنتدى منها لإثراء الفكر الإسلامي المعاصر، فليس الإسلام تعبيرًا لغويًا لتصبح اللغة العربية ركنا من أركان الدين، بل هو معنى ومقصد وروح يمكن أن يتجلى في أي لغة وأي لباس، مع تقديرنا العالي لخصوصية لغة القرآن الكريم حين يتلى عبادة وتأملا.

والباحث الذي له صلة الانتساب إلى المنتدى تأسيا وأمانة وفكرة حققت رسالة المنتدى في جزئية مهمة، تتعلق بالتعريب وآثره، وذلك في جملة من المسائل، وأحسب أنه بذلك أي بهذه الباكورة من فكر المنتدى، قدم تعريفا جامعاً مانعاً لمراميها ومقاصدها، وأظن أيضاً أنه وفق في عرض الصورتين الإسلامية الحقيقية، والصورة التي شاعت، ولم تكن هي الحقيقة في عرض الحوار الذي دار بينه وبين صديق له بريطاني أسلم، وغير اسمه القديم (دنكن) إلى (عبد الشكور)... إذ قال له: من الذي سماك بهذا الاسم؟ قال المسلم الجديد: سممتني جدتي بهذا الاسم (دنكن)، وغضبت لأنني غيرت اسمي لا ديني. وبدا من الحوار أن الرجل منهم لا يصبح مسلماً إن لم يغير اسمه، وهنا صحح الباحث الفكرة، وقال له: ما دام اسمك لا يحمل معنى فاسداً فاحتفظ باسمك القديم. هذه هي الحقيقة، وغيرها تقليد زائف وتحريف لمقصد الإسلام.

د. محمد شريف أحمد

رئيس منتدى الفكر الإسلامي في

كوردستان

و عضو مجلس النواب العراقي

هولير - كوردستان

2006/9/2

تمهيد

إن الحمد لله، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله... أما بعد.

فلعل قلة الحديث عن هذا الموضوع يرتد إلى أمرين: أحدهما خطورة الخوض فيه، لعلاقته الوشيجة والوطيدة بالعقائد الدينية، ومعلوم أن ما له علاقة بذلك يحتاط الباحثون فيه، خوفاً من مصنفي الأحكام القاسية من قبل بعض التيارات الدينية الدوجماتيكية، ثانيهما: الاعتقاد السائد بأن ما جاء به علماء الإسلام القدامى لا يمكن نقده، بل يجب قبوله، كحقائق مطلقة ومقدسة، مع أنه ينبغي التفرقة بين ما هو دين من وضع إلهي معصوم، وبين فلسفة الفكر الديني لعلماء الإسلام، لأن الفكر معرض للخطأ والصواب، فهو قابل للنقد والرفض، وتخطئة الفكر لا يلزم منه تخطئة الدين نفسه، للبون الشاسع بينهما. وهذا ينطبق على موضوع البحث، حيث إن التعريب ترك آثاراً جلية على الفكر الإسلامي، إلى درجة عدم التفرقة بين ما هو دين كنظام عقدي مقدس، يجب القبول به، وبين التعريب كمحاولة بشرية فردية أو جماعية تهدف إلى استراتيجية معينة، ولعل هذه الدراسة هي أول محاولة تتناول العلاقة بين التعريب والدين.

فيلولوجيا التعريب

التعريب مشتق من الفعل عربَّ تعريبا على وزن تفعيل، ويقال أعرب إعراباً وهما بمعنى واحد، أي أبان وأفصح، ومن معاني التعريب: أن يتخذ فرساً عربياً غير هجين، وهذا المعنى المادي قريب من المعنى المعنوي من حيث الإعراب والإفصاح عن أصالة الشيء، لأن التعريب الذي نحن بصددده يقصد به من حيث الاشتقاق اللغوي جعل الشيء عربياً خالصاً غير

مشوب¹، وثمة معاني أخرى غرض الباحث الطرف عنها، لبعدها عن المعنى المقصود. التعريب له شقان: أحدهما إيجابي له دور حضاري وثقافي وابستمولوجي، يتمثل في ترجمة العلوم والمعارف والفلسفات والثقافات وما شاكل ذلك إلى اللغة العربية، وذلك لتعميم الفائدة بين العرب، ومن يتقن اللغة العربية، وثمة مشاريع عظيمة تركز على الترجمة والتعريب في كافة المجالات والمناحي، وهذا الجانب لا أحد ينكر أهميته وضرورته في السلك المعرفي، وتاريخ هذا المشروع ليس وليد هذا العصر، فقد كانت حركة الترجمة موجودة في السابق، وخاصة في العهدين الأموي والعباسي، ولهذا نجد الكم الهائل من التراث اليوناني المترجم إلى اللغة العربية، بل إن أحد فلاسفة الإسلام كأبي الريحان البيروني (ت440هـ) تعلم اللغة السنسكريتية الهندية، وترجم الديانة الهندوسية وثقافتها إلى اللغة العربية²، وثمة نماذج عديدة لا مجال لذكرها جميعها، ولهذا ألف علماء الإسلام كتباً عديدة عن التعريب الذي نحن بصدد، خذ مثلاً، كتاب التعريب: لأبي الحسن البغدادي المعروف بالعشاب (ت494هـ)، والتعريب في التعريب لأبي الحسن الراوندي الشيعي (ت673هـ)، والتعريب للمولى أحمد بن سليمان الشهير بابن كمال باشا (ت940هـ). أما الشق الثاني، فهو سلبي، وراءه أهداف سياسية مغزاها فرض ثقافة معينة، وهي الثقافة العربية على الشعوب الأخرى، ولم يكن الأسلوب القسري الجبري هو المعول عليه في هذه السياسة، لأن مثل هذه الأساليب لا تجد لها مناخاً بحيث يضمن لها البقاء، لولا العامل الديني، لكونه خير وسيلة لإقناع الغير، وذلك الغير هو المسلم الذي يجد من الصعوبة أن يعترض على أي شئ له صلة بالدين، وهذا بلا ريب وسيلة ناجعة لتعريب ثقافته من حيث لا يدري، وعندما تعرب ثقافته، فإن إخضاعه سيكون أسهل، وهذا البحث سيركز على الشق الثاني السلبي، ذلك الشق الذي اختلط بمبادئ الدين.

تاريخ التعريب

منذ أن تسلّم بنو أمية مقاليد الحكم في (40هـ - 132هـ)، تسلطوا على رقاب المسلمين بقوة، وأخضعوا هياكل الدولة وأدواتها لسلطانهم الجبروتي، وفرضوا على المسلمين المذهب الجبري³، ثم بدأوا بتشريع قوانين للدولة، تجعلها دولة عربية خالصة، منها قانون التعريب، حيث بدأوا من الناحية العملية تصفية الدولة من الجنس غير العربي، لكونه لبنات غير صالحة في هيكل الدولة، ولهذا بدأوا بتهميش غير العرب من سلك الحياة السياسية والاجتماعية والإدارية، حتى تغدو الدولة عربية في قلبها وقالبيها⁴، تحدث الجاحظ (ت255هـ) عن سياسة بني أمية، عندما سماوا استبدادهم بالسلطة عام الجماعة، فقال: "وما كان عام جماعة، بل عام فرقة وقهر وجبرية

¹ ابن منظور جمال الدين الأفرقي: لسان العرب (بيروت، دار صادر، د.ط.ت) 588/1 وما بعدها، الزمخشري، محمود بن عمر: الفائق في غريب الحديث: تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم (لبنان، دار المعرفة، ط2، د.ت) 309/2.

² البيروني، أبو الريحان: في تحقيق ما للهند من مقولة، مقبولة في العقل أو مردولة (الهند، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، د.ط. 1377هـ، 1958م).

³ هذا المذهب الذي يسمى بالجبرية، مذهب يقوم أساساً على نظرية ضيقة ضحلة، مغزاها أن الإنسان مسير لا مخير، كالريشة في مهب الريح، وعليه، يجب على المحكومين السكوت، وعدم الاعتراض على الحاكم، حتى ولو كان ظالماً، وهذا عكس المذهب القدري، الذي يفسح للإنسان قدرة وإرادة، ويجعله مخيراً حسب الحدود المعروفة، وعليه، فإن دفاع بني أمية عن هذا المذهب المرفوض من قبل علماء السنة، ليس دفاعاً فكرياً عن قناعة، بل دفاع برجماتي، لكونه يحقق هدفاً سياسياً ممتازاً، يجعل المحكومين في عالم الصمت، لا اعتراض ولا نقد.

⁴ وقد بلغ تطرفهم إلى درجة أن أبعدوا القائد الأموي المعروف مسلمة بن عبد الملك عن منصب الخلافة، لكون أمه من أصل غير عربي. انظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1407هـ) 232/7.

وغلبة، والعام الذي تحولت الإمامة ملكا كسرويا، والخلافة غصبا قيصريا¹. هذه الأيدولوجية ليست غريبة في المناخ العربي، حيث تترد في كنهها إلى الحقبة الجاهلية، وهي ما قبل الإسلام، فقد كان العرب يحاولون توحيد القبائل العربية من أجل سيادة عربية قوية ذات شوكة وهيبة، وذلك كله على أساس العرق والجنس والقومية، ولما جاء بنو أمية بدأوا بممارسة تلك الفكرة، وتحويلها إلى واقع عملي ملموس. قال أبو زهرة: "ولقد كان في الأمويين نزعة عربية شديدة، وقد أحيوا كثيرا من تراث العرب قبل الإسلام"². وليس هذا فحسب، بل: "بالرغم من شعورهم الديني الذي لا مرأى فيه، كانوا قد قدموا على كل شيء، فكرة القومية، بل العرقية، وهي فكرة سيادة العرب"³.

ولهذا كان من أهم أسس الإسلام وقواعده ومبادئه الصريحة، القضاء على التعصب العنصري والطبقي والعرقى، لأن عالمية الإسلام كديانة توحيدية تنافي هذه الأخلاقيات الضحلة، والسلوكيات اللاحضارية. كان العرب قبل الإسلام قبائل متناطحة، لا حضارة ولا تمدن، بل كانوا عالة على كبرى الحضارتين في المنطقة وهما الحضارة الفارسية والحضارة الرومية المسيحية⁴. فاستطاع النبي صلى الله عليه وسلم جمع هذه القبائل على التوحيد العقدي، وأزال ما يחדش صفو ذلك من الفكر القبلي والعرقى. ولعل خير مثال على هذه الحقيقة التاريخية قول الله تعالى وهو يتحدث عن الأوس والخزرج، القبيلتان العربيتان المتناطحتان. حيث قال {واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم}⁵.

وما أن جاء بنو أمية تضعف بنيران الفكر الوحدوي بين المسلمين، حيث بدءوا بتصفية الدولة من الجنس غير العربي، وهذا ما أحدث ضجة في بنين الدولة، حيث ظهرت جماعة أهل التسوية في نهايات العهد الأموي، وهي حركة إجتماعية إصلاحية إنسانية دعت إلى المساواة بين العرب وغير العرب، وقد أيدها علماء المسلمين، لكونها دعوة توافق مبادئ القرآن الكريم، ثم تحولت تلك الحركة بمرور الزمن إلى حركة سياسة لمناهضة الأمويين، عرفت بالشعبوية⁶.

¹ الجاحظ: رسائل الجاحظ: تحقيق عبد السلام هارون (بيروت، دار الجيل، ط1، 1411هـ، 1992م) 11/2. وقد قال ابن عمر لمعاوية: "فإن هذه الخلافة ليست بهرقلية ولا قيصرية ولا كسروية يتوارثها الأبناء عن الآباء، ولو كان كذلك لكنت القائم بها بعد أبي، فوالله ما أدخلني مع السنة من أصحاب الشورى". انظر: ابن قتيبة الدينوري: الإمامة والسياسة (د.م. ط. مؤسسة ناصر للثقافة) 242/1.

² أبو زهرة: أبو حنيفة حياته وعصره، آراؤه وفقهه (د.م. ط. دار الفكر العربي) ص 81. وممن أيد هذا الكلام الدكتور أحمد محمود صبحي: في علم الكلام دراسة فلسفية لأراء الفرق الإسلامية في أصول الدين: الأشاعرة (الاسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، ط 4 دت) ص 9.

³ غرديه، وقنواتي: فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية: ترجمة: صبحي الصالح وفريد جبر (بيروت، دار العلم للملايين، ط 2، 1979م) 66/1.

⁴ تصوير العرب بمظهر البداوة الساذجة، وأنه لم تكن لهم حضارة ولا تمدن قبل الإسلام، ليس تحقيرا وتنقيصا لحضارهم الإسلامي كما يذهب إلى ذلك حسين عطوان في كتابه: الزندقة والشعبوية في العصر العباسي الأول (بيروت، دار الجيل، د.ت. ط) ص 161. وذلك لأنه ليس ثمة صلة بين الماضي الجاهلي والحاضر الإسلامي، فالحاضر الإسلامي حقبة زمنية مستقلة منفصلة جديدة، وما أكثر النصوص الدينية على هذه الحقيقة، والغريب أن أحد الباحثين وهو الدكتور أحمد عبد الحميد غراب: مقدمة كتاب الإعلام بمناقب الإسلام لأبي الحسن العامري (القاهرة، دار الكتاب العربي، د.ط. 1387هـ، 1967م) ص 53. قد تطرف وبالغ، حيث قال: بأن الإسلام من مفاخر القومية العربية، وهذا يقتضي كون الإسلام ليس ديناً إلهياً معصوماً، بل كونه من صنع العقلية العربية، وفي الوقت نفسه، نفي قاطع لأي دور لغير العرب في إثراء الثقافة الإسلامية. يقول علي عبد الرازق: "وما كان الإسلام دعوة عربية، ولا وحدة عربية، ولا ديناً عربياً، وما كان الإسلام ليعرف فضلاً لأمة على أمة، ولا للغة على لغة" انظر: عبدالرازق، علي: الإسلام وأصول الحكم (د.م. ط. الهيئة المصرية للكتاب) ص 81.

⁵ - سورة آل عمران الآية 103.

⁶ - اضطربت أقوال علماء الإسلام في معنى هذه التسمية، مع الإتفاق أن هذا الاسم مستمد من الآية الثالثة عشرة من سورة الحجرات وهي قوله تعالى {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا،

وقد ألف ابن قتيبة الدينوري (ت276هـ) رسالة في الرد على الشعوبية، لكنه في النهاية ندم على ما ألف وصنف، واستقر على قول الشعوبية في الدعوة إلى المساواة بين العرب وغير العرب، يقول ابن عبد ربه (ت328هـ): "وما رأيت أعجب من ابن قتيبة في كتاب فضل العرب، إنه ذهب في كل مذهب من فضائل العرب، ثم ختم كتابه بمذهب الشعوبية، فنقض في آخره ما بنى في أوله"¹ ومن الذين أيدوا هذا الرأي صديق حسن خان القنوجي الهندي البخاري (ت1307هـ) حيث قال: "ليس مذهب الشعوبية في المساواة بين العرب والعجم بغلط: وأقر ما استقر عليه رأي ابن قتيبة"².

ومن المعاصرين أحمد أمين حيث تحدث عن مذهب الشعوبية قائلاً بأنه مذهب: "أكثر المتدينين والعلماء من العرب والعجم، لأن روح الإسلام وقواعده تؤيد هذا المذهب"³. ويعد مائتي سنة من زوال الشعوبية الفارسية ظهرت الشعوبية البربرية (الأمازيغية) في الأندلس، وقادها أبو أمير ابن غرسية⁴ في القرن الخامس الهجري، نتيجة رد فعل عنيف للسياسية التعريبية في الأندلس⁵. وعندما انضم إليها شخصيات قلقة ومشبوهة قارنها بعض الباحثين العرب⁶ القوميون بالزندقة مع عدم ملاحظة هذه الأمور التي ذكرناها، أي غض الطرف عن الأبعاد التاريخية لظهور الحركة ونشوتها، مع أن مثل هذه البحوث والدراسات غير مقبولة في الحقول الأكاديمية، بل تبقى بحوثاً ودراسات ذاتية لأغراض سياسية وأيدولوجية معينة.

إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير { ولعل أقربها من حيث المعنى أن شعوبا يقصد به غير العرب من الشعوب الأخرى كالفرس والكورد والأترراك والهنود والأمازيغ البربر وغيرها، والتي تفضل الإنتساب إلى القرى والمدن دون الإنتساب إلى القبائل والعشائر كالعرب، ولهذا قيل: القبائل للعرب والشعوب للعجم. انظر: ابن تيمية الحراني: **إقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم** تحقيق: عصام الدين الصبايطي (القاهرة، دار الحديث، ط1، د.ت) ص142. ولهذا استنكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه دأب بعض العرب عندما اقتفوا طريقة الشعوب الأخرى في الإنتساب إلى الأصقاع والقرى، حيث قال: تعلموا النسب ولا تكونوا كنبط السودان، إذا سئل أحدهم عن أصله؟ قال: من قرية كذا، ابن خلدون: **المقدمة** تحقيق: درويش الجويدي (بيروت: المكتبة العصرية، ط2، 1416هـ، 1996م) 132/1. ولا يعني هذا أن غير العرب لا يحتفظون بأنسابهم كما ذهب إلى ذلك أبو زهرة: **تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية** (دم.ط.ت. دار الفكر العربي) ص600، بل هم يفضلون الإنتساب إلى الأوطان والقرى كعادة عربية متبعة.

¹ - ابن عبد ربه الأندلسي: **العقد الفريد** تحقيق: عبد المجيد الترحيني (بيروت، دار الكتاب العلمية، ط1، 1404هـ، 1983م) 359/3. يقول ابن قتيبة الدينوري: "وأعدل القول عندي أن الناس كلهم لأب وأم خلقوا من تراب، وأعيدوا إلى التراب، وجرى مجرى البول، وطراً عليهم الأقدار، فهذا نسبهم الأعلى الذي يرتدع به أهل العقول عن التعظيم والفخر بالأباء، ثم إلى الله مرجعهم، فتقطع الأنساب، وتعطل الأحساب إلا من كان حسبه التقوى، أو كانت مانتته طاعة الله". نقلاً عن ابن عبد ربه: **العقد الفريد** 359/3.

² - القنوجي: **الدين الخالص** تحقيق محمد هاشم سالم (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ، 1495م) 364/3.

³ أمين، أحمد: **ضحى الإسلام** (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط8، د.م) 53/1.

⁴ وانظر: حول ابن غرسية والشجار الذي كان بينه وبين أبي جعفر أحمد بن الجزار، مما دفعه إلى تأليف رسالة في الذود عن الشعوبية: **المغرب في حلى المغرب**: ابن سعيد المغربي: تحقيق شوقي ضيف (القاهرة، دار المعارف، ط3، 1955) 356/2.

⁵ Bosworth C. E, van Donzel, Lewis, B, & Pellat, CH, (eds), *The Encyclopedia Of Islam*, (Leiden,: E. J. Brill. 1986) volume 5 P 515.

⁶ - ومن هؤلاء الكاتبة سميرة الليثي في كتابها: **الزندقة والشعوبية وانتصار الإسلام والعروبة عليهما** (القاهرة، مكتبة الإنجلو المصرية، 1986م). والكاتب عطوان حسين في كتابه: **الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأول** (بيروت دار الجبل د.ت.ط) وكذلك الكاتب النقال خير الدين طلفاح صاحب كتاب **الشعوبية عدو العرب الأول**، وهذا الكتاب الأخير من إفرازات الحرب العراقية الإيرانية، فهو ليس بحثاً علمياً أكاديمياً.

إشكالية أفضلية العرب على غيرهم

إن كثيرا من الأحكام والأفكار والفتاوى والإجتهادات بحاجة إلى مراجعة نقدية علمية، حيث نلاحظ عليها طابعا سياسيا، وهي في كنهها أحكام وأفكار ظرفية، أو نقول ذاتية، بعيدة عن روح الإسلام وفلسفته. وبين يدي الباحث أمثلة عديدة، لا يمكن استقراءها وحصرها، ولعل هذه المسائل والأمور تتضح عندما نعرض بعضا منها تركت آثارها السيئة في المجتمعات المسلمة، وأخص بالذكر المجتمع الكوردي¹. ومن هذه المسائل قضية أفضلية العرب على غيرهم من الشعوب الأخرى، وكذلك أفضلية اللغة العربية على اللغات الأخرى لأن أفضلية الجنس تقتضي أفضلية مشتقاته كاللغة مثلا، حيث نجد مجموعة كبيرة من الأحاديث والآثار في فضل العرب واللغة العربية، ومقابل ذلك أحاديث أخرى في ذم الفرس واللغة الفارسية، مع عدم ورود أي حديث آخر في ذم اللغات الأخرى. مع أن التحقيق العلمي لهذه الأحاديث يجعلها أحاديث غير صحيحة، من إفرازات الصراع الطبقي والعرقى بين العرب والفرس على وجه الخصوص، وخاصة في نهايات العهد الأموي وبداية العهد العباسي الأول إلى نهايته، ويبلغ عدد تلك الأحاديث أكثر من ثلاثين حديثا وأثرا، وحتى لا تتحول هذه الدراسة إلى دراسة حديثة، لأن ذلك ليس من اختصاص الباحث، نركز على الجانب الفكري، نقتصر على الإشارة إلى الكتب

¹ - يبدو أن كون الكورد يتبعون المذهب الشافعي يرتد إلى شخصية الشافعي نفسه، حيث من المعلوم أن الشافعي عربي أصيل، وقرشي من الصميم، وهذا يقتضي تفضيله على غيره كأبي حنيفة مثلا، الذي هو من أصول فارسية، فهذا الشيخ رضا طالباني (ت1909م) يخاطب العرب بقوله: وأنتم أيها العرب لا أنكر فضلكم، فأنتم أكثر فضلا منا، ولكن صلاح الدين الذي استولى على الدنيا كلها، كان كورديا بابانيا". انظر: نيز، جمال: **المستضعفون الكورد وإخوانهم المسلمون** (لندن، منشورات كوردنامه، ط1، 1997م) ص37. وهذا الذي ذكره طالباني فيه تعميم، وذلك لأنه إذا كان يقصد العهد النبوي والراشدي، فهذا مما لا ريب فيه، لأن الدين الجديد ظهر بواسطتهم، ثم انتشر بين غير العرب من الشعوب الأخرى، أما أن يعمم ذلك، على جميع العهود، فهذا بعيد جدا، لأن الحقائق التاريخية تؤكد لنا خلاف ذلك، فإنه بعد سقوط الأمويين أصبح غير العرب، هم السادة، وما كان العباسيون بعدهم إلا هياكل دينية رمزية توقر من أجل الخلافة رمز الوحدة بين المسلمين. ومعلوم أن الشعوب غير العربية أسهمت أكثر من العرب أنفسهم في أكثر الحقول المعرفية والإدارية والسياسية، وسيشير الباحث إلى الحقل المعرفي في حينه، أما الحقل الإداري والسياسي فقد كان طارق بن زياد بربريا، ومحمد الفاتح تركيا، وصلاح دين الأيوبي وأبومسلم الخراساني من الكورد، ونظام الملك فارسيًا، ولا يعني هذا أن العرب لم يسهموا في هذا المجال، إلى أن القصد من هذا أن أفضلية العرب يجب تحديدها بوقت معين. وبالذي قدموه، وذلك حتى لا تظلم الشعوب الأخرى في حقوقها وإسهاماتها. وعلى ذلك الأساس - أي كون الشافعي عربيا أصيلا وقرشيا قحا - قدم كثير من علماء المسلمين مذهب الشافعي على غيره، منهم إمام الحرمين الجويني (ت478هـ): **البرهان في أصول الفقه** تحقيق: عبد العظيم الديب (الدوحة، مكتبة إمام الحرمين، د.ت.ط) 747/2. وانظر كذلك كتابا آخر له: **الكافية في الجدل** (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1420هـ، 1999م) ص269 وص450. والنووي (ت676هـ)، وابن حجر العسقلاني (ت852هـ): **ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري**: تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحي الدين الخطيب (باكستان، دار الكتب الإسلامية، 1401هـ، 1981م) 119/13 والخطيب البغدادي (ت463هـ): **تاريخ بغداد** (المدينة المنورة، المكتبة السلفية، د.ت.ط) 61/20. ونسب إلى أحمد بن حنبل أنظر: الهيتمي، ابن حجر (ت973هـ): **مبلغ الأرب في فخر العرب**: تحقيق: يسرى عبد الغني عبدالله (بيروت، دار الكتب العلمية، 1410هـ، 1990م) ص34. وكذلك جمال الدين الخوارزمي (ت655هـ) قدم الشافعي على غيره، وجعل ذلك من شعار أهل الحديث: انظر: كتابه **مفيد العلوم ومبيد الهموم** تحقيق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري (بيروت، منشورات المكتبة العصرية، 1400هـ، 1980م د.ط) ص63-64. وقد رفض هذه الفكرة ومشتقاتها القرطبي (ت656هـ): **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**: تحقيق ليف من الأساتذة (بيروت، دار ابن كثير، ط1، 1417هـ، 1996م) 7/4.

والمصنفات الحديثية التي تناولت تحقيق تلك الأحاديث من ضعف ووضع وصحة في الهامش، مع الإشارة إلى المعلومات الضرورية كالمجلد والجزء ورقم الصفحات¹.

نقد رأي ابن تيمية الحراني

لقد ركز الباحث على ابن تيمية الحراني (ت728هـ) لكونه تحدث عن هذه المسألة أكثر من غيره، وكونه أطرها تأطيرا عقديا، بحيث يجعل مخالفته نوع هرطقة جديدة، حيث يقول: "فإن الذي عليه أهل السنة والجماعة اعتقاد أن جنس العرب أفضل من جنس العجم، عبرانيهم وسريانيهم ورومهم وفرسهم وغيرهم... ثم نقل عن الكرمانى (ت280هـ) صاحب أحمد بن حنبل (ت241هـ) أن ذلك من أصول أهل السنة، وأن من خالف ذلك فهو مبتدع²، ثم ذكر ابن تيمية الحراني أن ثمة فرقة تقول: بأن العجم أفضل من العرب، وهؤلاء هم الشعوبية، قال ابن تيمية الحراني في حقهم: والغالب أن مثل هذا الكلام لا يصدر إلا عن نوع نفاق، إما في الاعتقاد، وإما في العمل المنبعث عن هوى النفس مع شبهات اقتضت ذلك"³.

مناقشة رأي ابن تيمية الحراني

- (1) لقد اعتمد ابن تيمية الحراني في هذه المسألة بعض الأحاديث غير الصحيحة⁴.
- (2) واعتمد أيضا أقوال الصحابة، حيث بعضها صحيح، والبعض الآخر غير صحيح، والنتيجة أنه ليس ثمة ما يثبت ذلك، وليس ثمة إجماع للصحابة، وقول الصحابي ليس بحجة، فكيف إذا خالف نصوصا صحيحة أخرى.
- (3) أقوال التابعين ليست حجة اتفاقا، وأنى لها الحجة، إذا لم يبق لقول الصحابي حجة.
- (4) إن ابن تيمية الحراني لم ينقل الإجماع على ذلك، وقصدي إجماع الصحابة، وإلا فليس ثمة إجماع خلا إجماع الصحابة، ومن يدري لعل الناس اختلفوا كما

¹ ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل 16/8 وكتابه العلل 376/2، وكتابه المراسيل ص50، والظرابلسي: اللؤلؤ المرصوع فيما لا أصل له أو بأصله موضوع ص118، والسندروسى: الكشف الإلهي عن شديد الضعف والموضوع والواهي 484/2، وابن عدي: الكامل في ضعفاء الرجال 458/3، وابن الكيال: الكواكب النيرات فيما اختلط من الثقافات ص55، والعجلوني: كشف الخفاء 55/1، ابن الديبع: تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث ص172، العقيلي: كتاب الضعفاء الكبير 355/4، وابن الجوزي: كتاب الضعفاء والمتروكين 107/2، الذهبي: ميزان الاعتدال في نقد الرجال 353/4-127/5، ابن حبان: كتاب المجروحين 285/1، ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب 331/2 وكتابه تقريب التهذيب 474/8، البخاري: التاريخ الكبير 344/4، الهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد 52/1، والألباني: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة 150/3.

² انظر حنبل، أحمد: العقيدة، رواية أبي بكر الخلال: تحقيق عبد العزيز عز الدين السيروان (دمشق، دار قتيبية، ط1، 1408هـ) 81/1.

³ ابن تيمية الحراني: اقتضاء الصراط المستقيم ص141.

⁴ المصدر السابق والصفحة نفسها. ومن المناسب ذكر بعض تلك الأحاديث والآثار: (1) أنا عربي، والقرآن عربي، ولسان أهل الجنة عربي. (2) حب العرب إيمان، وبغضهم نفاق. (3) العرب سادات العجم. (4) من دخل في هذا الدين، فهو عربي. (5) إذا ذلت العرب ذل الإسلام، إلى غير ذلك من تلك الأحاديث والآثار.

يقول أحمد بن حنبل¹. وقد ذكرنا آراء المخالفين، فبقي إجماع أهل السنة والجماعة، ويمكن أن نوضح قصد ابن تيمية الحراني أكثر، وهو إجماع السلف، وذلك حتى لا يبقى وجود للفرق الإسلامية الخارجة عن هذا الإطار الإيدولوجي، ولأن الاتفاق بين السلف على أن جنس العرب أفضل من جنس العجم، وراه أسباب دفعتهم إلى ذلك، كما دفعتهم مسألة المسح على الخفين إلى الاتفاق، وإدراجها ضمن المسائل العقديّة مخالفة للشريعة، لكونهم يخالفون أهل السنة في ذلك، مع كونها لا تقتضي تكفيرا ولا تشريكا، بل إنها مجرد مسألة فقهية فرعية تمييزية، وهكذا شأن المسألة التي نحن بصددّها، فهي مسألة فرعية تمييزية، جمعت السلف في ذلك الوقت، وهم بأمر الحاجة إليها للوقوف ضد الفرق والمذاهب التي تخالف ذلك، وتستغلها في الطعن في الإسلام حسب تصورهم، كفرقة الشعوبية التي عرفت بذلك، مع نظر الاعتبار الفرق الواسع بين تينك المسألتين، فالأولى ثابتة عليها نصوص صريحة صحيحة، بينما الثانية مجرد رأي، لضعف الأدلة وهشاشتها، وعليه، فإن ما ذكره ابن تيمية الحراني ليس سديدا، بل مبالغ فيه، ويحتاج إلى مراجعة نقدية، وخاصة أن مقاصد الإسلام الكلية تنقض تلك الفكرة من أساسها، قال تعالى: { يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم }². وعن أبي نضرة حدثني من سمع خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسط أيام التشريق، فقال: أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى³. فالآية صريحة وجلية في كون أفضل الناس أخلصهم وأتقاهم، وليس الفضل للجنس البتة.

(5) لم يقل الشعوبيون بأن العجم أفضل من العرب، وإنما قالوا بالمساواة بينهما، وأنه لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، كما يقول الله تعالى، وقد سبق ذكر الآية، فما ذكره ابن تيمية الحراني ليس دقيقا، إلا أن يقصد الغلاة من الشعوبية، فهذا ممكن.

(6) كيف يمكن الاعتقاد بأن القول بأن العجم أفضل من العرب نوع نفاق، واتباع هوى، لأن المسألة ليست ذات أهمية من الناحية الدينية، كل ما في الأمر أنها مسألة هامشية تتعلق بالتفاضل بين الشعوب، ثم إن الزمن هو الذي يحدد تلك الأفضلية، فمعلوم أن العرب في البداية كانوا أفضل الناس، لكونهم نشروا الإسلام، وضحو بأنفسهم من أجله، ولكن بعد فترة، فقدوا تلك الأفضلية، حيث أخذ الأعاجم تلك الأفضلية، لأن الفضل لا يمكن أن يكون لذات الجنس، بل لما يقدمه ذلك الجنس من إسهامات في شتى مناحي الحياة، ولهذا نجد أن إسهامات علماء العجم أكثر من إسهامات العرب، يقول ابن خلدون (ت799هـ): "من الغريب الواقع أن حملة العلم في الملة الإسلامية أكثرهم من العجم، وليس في العرب علم لا في العلوم الشرعية، ولا في العلوم العقلية، إلا في القليل النادر"⁴. ومن الذين أيدوا هذه النظرية إمام الحرمين الجويني (ت478هـ)⁵ والقرطبي (ت656هـ)⁶ وابن تيمية الحراني (ت728هـ)⁷ ومن المعاصرين محمد

¹ ابن حزم: الإحكام في أصول الأحكام: تحقيق ليف من العلماء (د.م. ط. دار الحديث، 1404هـ، 1984م) 542/4.

² سورة الحجرات الآية 3.

³ رواه أحمد بن حنبل في مسنده رقم الحديث 22391. باب حديث رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

⁴ ابن خلدون: المقدمة 541/1-542.

⁵ الجويني، إمام الحرمين: غياث الأمم في التياث الظلم المعروف بالغيثي تحقيق د. عبد العظيم الديب (قطر،

الشؤون الدينية، ط1، 1300هـ) ص231.

⁶ القرطبي: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم 506/6.

⁷ ابن تيمية الحراني: اقتضاء الصراط المستقيم ص138.

عبد (ت1905هـ)¹ وطه حسين (ت1973م)² ورجي زيدان³ وأحمد محمد صبحي⁴ وعلي سامي النشار⁵. ويؤيد هذا قوله صلى الله عليه وسلم لسلمان الفارسي (رض): "لو كان الإيمان عند الثريا، لناله رجل من فارس أو قال رجل من أبناء فارس"⁶.

وقد حاول أحد الباحثين⁷ تنفيذ هذه النظرية، إلا أن حججه لم تكن بالمستوى المطلوب، منها أن العرب أقل من العجم، مع أن المقارنة ليست بين الشعوب، ولكنها مقارنة بين من أسهم في العلوم الدينية، أو الثقافة الإسلامية عموماً، إلا أنه يمكن ذكر حجة قوية، قد أشار إليها العلماء، وهي أن العرب اشتغلوا بالسلطة والسيادة، وكانوا يعدون طلب العلم مهنة وحرقة للموالي والعبيد ومن على شاكلتهم، فلا يليق بالعربي أن يكون في مرتبتهم، ولم يكونوا يسمحون لغير العرب بممارسة السياسة، وخاصة في العهد الأموي.

التعريب في اللغات

ليس في تعريف اللغة أي تعقيد وصعوبة، فهي: "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"⁸. والحديث عن اللغة يجرنا إلى إشكالية أخرى، وهي هل اللغة توقيفية أو أنها وضعية إصطلاحية؟ فقد ذهب جمهور علماء الإسلام أن اللغة وضعية اصطلاحية من صنع الإنسان، وهو رأي جل فلاسفة الغرب التجريبيين الحسيين *Empiricism*، يقول جون لوك *John Locke* (ت1704هـ) مؤسس المدرسة التجريبية الحسية: "إن اللغة مصنوع صنعها الإنسان بالرغم من توارثه إياها جيلاً بعد جيل"⁹. وذهب بعض المحققين من علماء الإسلام القدامى أن اللغات توقيفية، وليس للإنسان أي دخل في صنعها ووضعها، ومن هؤلاء الكعبي (ت317هـ)

¹عبد، محمد: رسالة التوحيد (د.م.ت. دار المنار) ص187.

²حسين، طه: في الشعر الجاهلي (د.م. دار النهر، ط1996، م3) ص36.

³زيدان، جرجي: تاريخ التمدن الإسلامي (بيروت، مكتبة الحياة، د.ط. 1967م) 3/53.

⁴صبحي، أحمد محمد: في علم الكلام دراسة فلسفية لأراء الفرق الإسلامية في أصول الدين: المعتزلة (الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، د.ط. 1992م) ص104-105.

⁵النشار، علي سامي: مناهج البحث عند مفكري الإسلام، واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي (د.م. دار المعارف، ط1996، م3) ص2.

⁶الحديث رواه البخاري رقم الحديث (4518) كتاب التفسير، باب قوله تعالى { وآخرين لما يلحقوا بهم } ومسلم رقم الحديث (4618) في كتاب الفضائل، باب فضل فارس. وفي رواية أخرى لم تحدد الفرس، بل تناولت العجم عامة، "لو كان الإيمان معلقاً بالثريا لناله رجال من العجم وأسعدهم به الناس" هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

⁷عوضين، إبراهيم: ردود إسلامية في قضايا معاصرة (القاهرة، المؤسسة العربية الحديثة، د.ت) ص97.

⁸ابن منظور: لسان العرب 15/251-252.

⁹إسلام، عزمي: اتجاهات في الفلسفة الغربية (الكويت، وكالة المطبوعات، ط1، ج.ت) ص23. وإن كان بعض الباحثين أشاروا إلى أن جون لوك عد اللغة هبة من الله. انظر الحمداني، موفق: اللغة وعلم النفس (بغداد، د.ط. 1983م) ص8. ولكن الحقيقة أن الفلاسفة الحسيين التجريبيين لا يؤمنون بشئ اسمه هبة من الله، بل كل شئ من إبداعات الإنسان الأصيلة، فلا يتصور ذلك النقل عنه صحيحاً، وخاصة أن جون لوك قد طغى عليه الاتجاه

الوضعي *Positivism* الذي يقدر الإنسان إلى درجة التأليه.

والجبائي(ت321هـ) والأشعري(ت324هـ)¹ والرماني(ت382هـ)² وهو المفهوم من كلام ابن حزم الأندلسي(ت456هـ)³ وقد تردد الجويني(ت478هـ) في ذلك⁴.

وقد وقع الفريق الأول في تناقض واضح، حيث لما أثبتوا كون اللغات وضعية استثنوا اللغة العربية، لكونها لغة القرآن الكريم، مع أن الكتب الإلهية الأخرى السابقة كالتوراة والإنجيل والزبور والصحف أنزلت بلغات أخرى غير العربية، فالتوراة نزلت بالعبرية، والإنجيل نزلت بالسريانية، وقد حاول بعضهم دفع هذا الإشكال، وتجاوز هذا التناقض، فقال وهو يتحدث عن اللغة العربية: "لأنها لغة الجنة، ولغة اللوح المحفوظ المدونة بها الكتب السماوية قبل نزولها على المرسلين"⁵. ولم يذكر الكاتب أي دليل على هذه الدعوى العريضة، علما أن ثمة حديثا قد ورد في ذلك، حيث روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "والذي نفسي بيده ما أنزل الله وحيا قط على نبي بينه وبينه إلا بالعربية، ثم يكون هو بعد يبلغ قومه بلسانه" إلا أن الحديث ضعيف⁶، والغريب أن مقاتلا المفسر قال: "إن لسان أهل السماء عربي"⁷. ولا يمكن التعويل على مثل هذه الأحاديث والآثار في قضايا خطيرة متعلقة بالغيبيات والعقائد. وقد استدلت القائلون بكون اللغات توقيفية ببعض الآيات القرآنية، منها قوله تعالى {وعلم آدم الأسماء كلها}⁸، فقد ذهب ابن خويز منداد(ت390هـ) إلى أن هذه الآية دليل على أن اللغة مأخوذة توقيفا، وأن الله تعالى علمها آدم عليه السلام جملة وتفصيلا... وقد رجحه القرطبي⁹، وقال الطوسي: "ظاهر الآية وعمومها يدل على أنه علمه جميع اللغات"¹⁰، وقد طرح أحد مفسري المذهب الإباضي سؤالا وجيها، فإن قيل فبأى لغة علمه الأسماء؟ قيل: قد صح في حديث أبي ذر أن آدم سرياني، فيقول علمه باللغة السريانية سرا عن الملائكة، وقد رجح الشيخ الإباضي كون الأسماء لغات، ونسبه إلى ابن عباس¹¹. إلا أن ما ذكره الإباضي في كون رب العالمين تكلم مع آدم بالسريانية، يحتاج إلى دليل قطعي صحيح، لأنه ذكر الأثر من غير سند. إلا أن ثمة إشكالا مؤداه، كيف نفسر انتشار هذه اللغات الكثيرة؟ يجيب الطوسي(ت460هـ) على ذلك بقوله: "ولده أي آدم عليه السلام أخذ عنه هذه اللغات، فلما تفرقوا تكلم كل قوم منهم بلسان ألفوه واعتادوه، وتطاول الزمان على ما خالف ذلك نسوه... ثم ذكر احتمالا آخر، وهو أنه يجوز أن يكونوا عالمين بجميع تلك اللغات إلى زمن نوح عليه السلام، فلما أهلك جميع الخلائق إلا نوحا ومن معه، كانوا هم العارفين بتلك اللغات،

¹ الرازي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ، 1990م) 161/1.
² الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن: التبيان في تفسير القرآن: تحقيق آغاندرك الطهراني (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ط.ت) 138/1.
³ ابن حزم: الأحكام في أصول الأحكام 36/1.
⁴ الجويني: البرهان في أصول الفقه 130/1.
⁵ مجلة التجديد (ماليزيا، السنة الخامسة، العدد التاسع، 1421هـ، 2001م) الفارسي، إبراهيم أحمد: أبعاد ضرورية وحضارية وضرورات حاضرة في تعليم اللغة العربية لأبناء العالم الإسلامي ص149.
⁶ قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط وفيه سليمان بن أرقم وهو ضعيف. انظر: الهيثمي، ابن حجر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد بتحرير الحافظ العراقي وابن حجر العسقلاني(د.م.ت.ط) 53/1.
⁷ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (د.م.دار الكتاب العربي، 1378هـ، 1967م) 61/16.
⁸ سورة البقرة الآية 31.
⁹ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن 282/1.
¹⁰ الطوسي: التبيان في تفسير القرآن 138/1. وروي أن آدم عليه السلام وضع كتابا بأنواع الألسن والأقلام قبل موته بثلاثمائة سنة، كتبها في طين ثم طبخه، فلما أصاب الأرض الغرق، وجد كل قوم كتابا فكتبوه من خطه، فأصاب إسماعيل عليه السلام الكتاب العربي. انظر: مصطفى بن عبدالله حاجي خليفة(ت1067هـ): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (بيروت، دار الكتب العلمية، 1413 - 1992) 25/1. وهذا الخبر يبدو من الإسرائيليات، ولا يمكن التعويل عليه في مثل هذه المجالات العلمية، بل كل ما في الأمر أنه يستأنس به فحسب.
¹¹ الشيخ الإباضي: هميان الزاد في تفسير القرآن الكريم 233/1.

فلما كثروا وتفرقوا، اختار كل قوم منهم لغة تكلموا بها، وتركوا ما سواها وانقرض ونسوه¹. إلا أن اللغات كثيرة، وعدد الذين نجاهم الله من الطوفان قليل، إذا قلنا بأن الناجين كانوا هم السبب في انتشار تلك اللغات، فكيف يمكن تفسير ذلك؟ نجد جواباً آخر عند وهب منبه بقوله: "إن الألسنة اثنتان وسبعون لساناً في ولد حام سبعة عشر، وفي ولد سام تسعة عشر، وفي ولد يافث ستة وثلاثون"². وهذا الخير مع كونه من الإسرائيليات، فهو يحتمل الصدق والكذب في آن واحد، قال ابن عباس (رض) إن أصحاب سفينة نوح عليه السلام كانوا ثمانين رجلاً، فلما كثروا ملكهم نمرود بن كنعان بن حام بن نوح، فلما كفروا بلبل³ الله ألسنتهم، وتفرقوا اثنتين وسبعين لساناً"⁴.

ولعل ثمة جواباً لهذا الإشكال، مؤداه أن الله تعالى علم آدم عليه السلام مجموعة من اللغات، لا نعرف عددها وأسمائها بالضبط، وهي تمثل لغات أصيلة ورئيسة، ثم انتشرت هذه اللغات في العالم، ومن ثم انبثقت وانجست منها لغات أخرى فرعية، وهي الأخرى تفرعت إلى فروع، ودواليك، وهذا الانتشار يبدأ بكل تأكيد بانتشار الأفراد من ذرية آدم عليه السلام، وهذا الانتشار ينتهي بلا ريب إلى الاستقرار، وحينئذ تحتفظ كل أمة بلغة ما، لا نعرف ماهيتها واسمها، وكيفية تلك العملية، وهذه تعد بداية حقبة البشرية الأولى، أي من آدم عليه السلام إلى وقت الطوفان، وتبدأ بعد الطوفان حقبة زمنية أخرى تعد البداية الثانية للبشرية، وقد أمر الله تعالى نبيه نوحاً عليه السلام ببناء سفينة عظيمة من أجل الخلاص من الطوفان العام المدمر، ومن أجل حفظ الأصل البشري، وإبقاء نسله في الأرض إلى يوم القيامة، وكذلك حفظ وجود الحيوانات، ولهذا قال تعالى { حتى إذا جاء أمرنا، وفار التنور، قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين }⁵، واللغات مرتبطة بأهلها، بقاء الإنسان يقتضي بقاء لغته، وذلك لأنه لا يمكن أن ينجو الإنسان من الغرق والطوفان، وينزل من السفينة، بعدما استقرت واستوتت على جبل الجودي، وقد نسي لغته، لأنه كان يملك لغته التي كان يتحدث بها سابقاً، ولا يعقل أن ينساها، لأنه لا مسبب لذلك، وهذه القلة القليلة التي نجت من الطوفان مع نبي الله نوح عليه السلام، كانوا من المؤمنين فقط، ولعل هذا يقتضي تنوعهم الثقافي والحضاري، السؤال الذي يطرح نفسه، بأي لغة كان الناجون يتكلمون مع بعضهم البعض في السفينة، وبعد خروجهم واستقرارهم بالمنطقة؟ فإن قلنا: كانوا يتكلمون بلغة واحدة، ترى أي لغة كانت تلك؟ وإن قلنا: كانوا يتكلمون بلغات عديدة، ترى كيف كانوا يتحدثون مع بعضهم البعض؟ ذكر القرطبي عن ابن عباس (رض) أنه قال: "إن نوحاً عليه السلام لما هبط

¹ الطوسي: التبيين في تفسير القرآن 138/1. الذين نجاهم الله من الطوفان من قوم نوح عليه السلام كانوا قلة قليلة، قال تعالى { وما آمن معه إلا قليل } سورة هود الآية (40)، وقد ذكر ابن عباس أن عددهم كان ثمانين. انظر: ابن الجوزي، أبو الفرج: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (بيروت، دار صادر، ط1، 1358م) 242. وانظر: عبد الحي بن أحمد العكبري: شذرات الذهب في تاريخ من ذهب (بيروت، دار الكتب العلمية، د. طبت) 218/1. ومعروف أن سفينة نوح عليه السلام استوتت واستقرت على جبل الجودي كما في القرآن الكريم، وهو جبل شامخ ضمن سلسلة من الجبال المعروفة، ويعرف الجبل في التوراة بجبل أرات. انظر: ابن كثير: البداية والنهاية (بيروت: دار الكتب العلمية، د. طبت) 134/1. وكلاهما يشير إلى جبل واحد في كوردستان، يقول ابن عباس: إن نوحاً عليه السلام لما هبط إلى أسفل الجودي ابتنى قرية سماها ثمانين، انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن 53/2، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم (بيروت: دار القلم، د. طبت) 324/4. والذي يزور شمال كوردستان (تركيا) يجد قرية أسفل جبل جودي تدعى هشتيان، ومعناها باللغة الكوردية ثمانون، وهي قرية تقع في مدينة (شرنخ) وأصل الكلمة في اللغة الكوردية (شارى نوح) Share Nuh أي مدينة نوح عليه السلام.

² الألوسي، شهاب الدين محمود: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1420هـ، 1990م) 45/21.

³ ومعنى بلبل في اللغة فرق وشتت وقتت.

⁴ الطبري، ابن جرير: تاريخ الأمم والملوك 128م. والعكبري: شذرات الذهب 218/1. ونجد إشارة عند المقدسي حيث ذكر عدد تلك اللغات بأنه ألف لغة: المقدسي، طاهر مطهر: البدء والتاريخ (القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، د. طبت) 2/3.

⁵ سورة هود الآية 40.

إلى أسفل الجودي ابنتى قرية وسماها ثمانين، فأصبح ذات يوم وقد تبلبلت ألسنتهم على ثمانين لغة، إحداهما اللسان العربي، وكان لا يفهم بعضهم عن بعض"¹.

وأضاف ابن كثير بعد أن ذكر ما ذكره القرطبي، قائلاً: "وكان نوح عليه السلام يُعبر عنهم"². ففي هذين الأثرين دليل على التنوع الثقافي عند الفئة الناجية من الناحية اللغوية، حيث لا يفهم بعضهم البعض، وكان نوح عليه السلام المترجم لهم، وإن كان واقع الحال يقتضي كونهم يتحدثون بلغة واحدة، لأنه كيف يمكن أن يؤمنوا بنبي الله نوح عليه السلام من غير أن يفهموا لغته، ولعلمهم تعلموا لغة نوح عليه السلام، مع الاحتفاظ بلغتهم، ولعل نوحا عليه السلام الذي عاش ألف سنة إلا خمسين عاماً، تعلم لغات عديدة، حتى يتمكن من إيصال رسالته، قال تعالى: {وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه، ليبين لهم}³ والذي يمكن تأكيده أن الله تعالى حفظ مجموعة من اللغات الأصلية الرئيسة، وقد ذكر ابن عباس (رض) أنها كانت ثمانين بقدر الأفراد الذين نجوا من الطوفان، وقد سبق ذكر الأثر، وذلك لكي تبقى البشرية في تطور وتقدم، وتستمر الرسالة الإلهية في تذكير الناس بالعالم الميتافيزيقي، وما من أجله يبعث الرسل والأنبياء. وعليه، فإن القول بأن جميع اللغات توقيفية مبالغة صريحة، لأن عددا كبيرا من اللغات ما هي إلا مزيج وتراكبات من لغات أخرى أكثر أصالة وعراقة، وثمة أمثلة عديدة، خذ مثلا بعض اللغات الأفريقية، والآسيوية والأوربية، فاللغة الملاوية⁴ *Malay Language* ليست لغة أصيلة، بل تكونت من اللغة الهندية السنسكريتية والصينية والعربية، ليس على مستوى الكلمات فقط، لأن كل لغة تتضمن معاني ومفردات أجنبية في هيكلتها، ولكن على مستوى الجمل وأيام السنة والشهور والأعداد، فأسماء الأيام باللغة العربية، وأسماء الشهور باللغة الإنجليزية، والأعداد متنوعة، هذا الخليط اللغوي ينفي أصالة اللغة، وهناك أمثلة عديدة حول اللغات الأخرى التي تواجه الإشكالية نفسها.

أما القول بأن ثمة لغات من غير تحديد وتعيين أصيلة وعريقة علمها الله تعالى آدم عليه السلام⁵، فهذا أقرب إلى فلسفة القرآن الكريم، قال تعالى {ومن آياته خلق السموات والأرض، واختلاف ألسنتكم وألوانكم، إن في ذلك لآيات للعالمين}⁶. فالله تعالى يشير إلى عظمة قدرته من خلال آياته العظام، منها خلق السموات والأرض، ومنها الاختلاف والتباين في الألسنة واللغات، ومنها التنوع في الأجناس والألوان في بني آدم، فهذه كلها آيات عظيمة لمعرفة قدرة الله المطلقة، ولو كانت اللغات من وضع الإنسان لما جعلها الله تعالى من آياته العظيمة على قدرته. ولقد حاول الفريق الأول تأويل اللسان هنا بالاختلاف في النطق، لا في الألسنة، وقد استدلوا بقول الله تعالى على لسان موسى عليه السلام، عندما قال {وأخي هارون هو أفصح مني لسانا}⁷ وقال {واحل عقدة من لساني}⁸، فالآيتان تدلان على النطق لا على اللغة، إلا أن الآية التي تناولت عظمة قدرة الله في اختلاف الألسنة والألوان، أكثر دلالة وتوضيحا، لأن قدرة الله وعظمته تتجلى في اختلاف اللغات لا في اختلاف النطق، لأنه قد يكون الاختلاف في النطق بسبب عيب ونقص، قال ابن

¹ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن 53/2.

² ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 324/4.

³ سورة إبراهيم الآية 4.

⁴ الملاوية هي لغة الشعوب الملاوية التي تترد إلى حضارة أرخبيل ملايو في جنوب شرق آسيا، وهي لغة أندونيسيا وماليزيا وبروناي وجنوب تايلاند، وبعض الأصقاع الأخرى في جنوب شرق آسيا.

⁵ وقد ذهب ابن عقيل البغدادي أن بعض اللغات توقيفية، والبعض الآخر اصطلاحية. انظر: ابن تيمية الحراني:

مجموع الفتاوى الكبير (د.م.ن.ط، 1، 1398) 442/12.

⁶ سورة الروم الآية 22.

⁷ سورة القصص الآية 34.

⁸ سورة طه الآية 27.

كثير في تفسير الآية أي قوله تعالى {واختلاف ألسنتكم وألوانكم} يعني اللغات... ثم ذكر لغة العرب والتمر والكرج والروم والافرنج والبربر والتكرور والحيشة والهنود والعجم والصفالية والجزر والأرمن والأكراد... إلى أن قال: ذلك مما لا يعلمه إلا الله تعالى من اختلاف لغات بني آدم¹.

ثم إن ثمة آيات عديدة ترجح كون اللسان هو اللغة لا النطق، قال تعالى {وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه}²، وقال تعالى {وإنه لتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين، على قلبك لتكون من المرسلين، بلسان عربي مبين، وإنه لفي زبر الأولين، أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل، ولو نزلناه على بعض الأعجمين، فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين}³. فبين أن الله تعالى أنزل القرآن باللغة العربية، فاللسان هنا اللغة وليس النطق، لأنه تعالى ذكر بعد ذلك الأعاجم الذي لا يعرفون العربية. وقال تعالى {وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا}⁴. قال القرطبي (ت656هـ): "اللسان في الفم، وفيه اختلاف اللغة من العربية والعجمية والتركية والرومية"⁵. وقد ذكر الباقلائي الاتفاق على ذلك عند كافة أهل التأويل، حيث قال: "يريد باختلاف الألسن عند كافة أهل التأويل اختلاف اللغات، والكلام بالألسن، ولم يرد اختلاف مقاديرها، لأنه يبطل معنى تخصيص الألسن بكونه آية له، فلما كان كلامنا المختلف من آياته، وجب أن يكون خلقا له تعالى"⁶. ومن الآيات الدالة على توقيفية اللغات قوله تعالى {خلق الإنسان، علمه البيان}⁷ قال السدي: "علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به"⁸.

إشكالية أفضلية اللغة العربية على أخواتها

فإذا كانت اللغات من الله تعالى، وليس للإنسان يد في صنعها ووضعها، أي أنها توقيفية وليست اصطلاحية، فهل ثمة تفاضل بين اللغات، أي هل من لغة أفضل من أختها؟. قديما قال جالينوس اليوناني: "إن لغة اليونانيين أفضل اللغات، لأن سائر اللغات إنما هي تشبه إما نباح الكلاب أو نقيق الضفادع"⁹، وهذه ظاهرة طبيعية في تفضيل الإنسان لغته على غيرها، ولكن لا ينبغي تشبيه اللغات الأخرى بأصوات الحيوانات ازدراء وتحقيرا، إلا أن يقصد بذلك التشبيه موسيقى اللغات وجرسها، لأن لكل لغة جرسا وموسيقى خاصة، يمكن التمييز بينها عند سماعها، إذن فالشعوب التي تتحدث اللغة الإنجليزية في بريطانيا وأمريكا وأستراليا وجنوب أفريقيا تفضل لغتها على غيرها، لكونها لغة الحضارة والتقدم والثقافة والتكنولوجيا وما شاكل ذلك من الصفات، وهكذا الشعوب الأخرى التي تملك لغتها القومية، تفضلها على غيرها، فكل أمة تتفخر بلغتها، وتنتظر إليها نظرة تجيل وإعلاء، وهذا أمر طبيعي، لكونه جبلة متجذرة في الإنسان، وهكذا بالنسبة إلى اللغة العربية، فإنها تبقى لغة العرب فقط، ولا يمكن أن تصبح لغة أمة أخرى، لأن لكل أمة لغتها القومية، والعربية هي لغة العرب فقط، وليست لغة المسلمين، لأنه ليس جميع

¹ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 4/441.

² سورة إبراهيم الآية 4.

³ سورة الشعراء الآية 191-199.

⁴ سورة الأحقاف الآية 12.

⁵ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن 14/18.

⁶ الباقلائي، أبو الطيب: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل: تحقيق عماد الدين أحمد حيدر (بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، 1987) ص344.

⁷ سورة الرحمن الآية 43.

⁸ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن 12/475.

⁹ ابن حزم: الإحكام في أصول الأحكام 1/36.

المسلمين عربيا، بل إن العرب جزء متواضع من المسلمين، ومصطلح (المسلمون) يشمل المسلمين من الهند والملايو والكوارد والفرس والترك والأمازيغ والأفارقة والصينيين والروس والأوربيين والأستراليين والأمريكيين، بل جميع المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها. وهذه الشعوب والأمم المسلمة، لا يمكن أن تنصهر وتذوب في بوتقة القومية العربية، وتتخلى عن لغتها، في سبيل تعلم اللغة العربية، بل لا بد أن تحتفظ بلغتها الأم، ولا بأس أن تتعلم اللغة العربية من أجل فهم الدين إن كان يرغب في فهمه وفقهه. إذن ليس من المنهجية العلمية تفضيل اللغة العربية على اللغات الأخرى، وذلك لأنه ليس ثمة دليل يثبت ذلك، بل الأدلة الواردة لا تصلح للاستدلال والاحتجاج، وأقوى دليل استدلل به علماء الإسلام أن القرآن الكريم أنزل باللغة العربية، وهذا يقتضي كون العربية أفضل اللغات، مع أن الكتب الإلهية الأخرى كالتوراة والإنجيل والزرور والصحف أنزلت بلغات أخرى معروفة، وذلك لا يقتضي تفضيل لغتها - أي الكتب - على غيرها من اللغات. قال أبو حاتم الرازي (ت277هـ): "إن أفضل اللغات الأربع - العبرية والسريانية والفارسية والعربية- لغة العرب، وهي أفصح اللغات وأكملها وأتمها وأعذبها وأبينها... وقال قوم بفضل اللغة اليونانية والهندية، لأن كتب الفلاسفة والأطباء وأصحاب النجوم والهندسة والحساب بها، وهذا قول منبوذ عند أهل الملل"¹.

إن كون القرآن أنزل بلغة العرب لا يعني أن لغة العرب أفضل اللغات، ولو كان ذلك كذلك، لأنزل الله تعالى جميع الكتب السماوية بالعربية، لكون اللغات الأخرى لا تصلح لهذه المهمة²، ومعلوم أن الله تعالى أنزل التوراة على موسى عليه السلام بالعبرية، والإنجيل على عيسى عليه السلام بالسريانية، علما أن تلك الكتب كانت كلام الله قبل تحريفها، فهل كانت العبرية أفضل اللغات لكون التوراة أنزلت بالعبرية؟ وهل كانت اللغة السريانية أفضل اللغات لكون الإنجيل أنزل بها؟ إذن هذا غير منطقي من الناحية العلمية، وقد حاول بعضهم إزاحة هذا الإشكال، حيث استدلوا بحديث مروي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "والذي نفسي بيده ما أنزل الله وحيا قط على نبي بينه وبينه إلا بالعربية، ثم يكون هو بعد يبلغ قومه بلسانه". وقد مر تخريج الحديث في كونه ضعيفا لا يعول عليه. يقول ابن حزم الأندلسي: "وقد قال قوم العربية أفضل اللغات، لأنه بها نزل كلام الله تعالى، قال علي - يقصد نفسه- وهذا لا معنى له، لأن الله عز وجل قد أخبرنا أنه لم يرسل رسولا إلا بلسان قومه، قال تعالى {وإن من أمة إلا خلا فيها نذير}³، وقال تعالى {وإنه لفي زبر الأولين}⁴، فبكل لغة نزل كلام الله تعالى ووحيه، وقد أنزل التوراة والإنجيل والزرور، وكلم موسى عليه السلام بالعبرانية، وأنزل الصحف على

¹ الرازي، أبو حاتم حمدان: كتاب الزينة في المصطلحات الإسلامية العربية: تحقيق: حسين فيض الله الهمداني (القاهرة، مطبعة الرسالة، 1956م) 7/1. ومن الذين ردوا هذه الدعوى أبو منصور الثعالبي: فقه اللغة وسر اللغة: تحقيق جمال عطية (بيروت، دار الكتب العلمية، د.طرت) ص25.

² ثم إنه من المعلوم أن جميع الأنبياء والمرسلين ليسوا من العرب باستثناء أربعة منهم، فقد روى ابن حبان في صحيحه عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه مرفوعا: أن عدد الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألفا، ثلاثمائة وبضعة عشر منهم رسل، منهم أربعة من العرب، هود وصالح وشعيب ومحمد صلى الله عليهم وسلم: انظر: التريزي: مشكاة المصابيح تحقيق محمد ناصر الدين الألباني (بيروت، المكتبة الإسلامية، ط2، 1399هـ، 1985م) 1599/3. وهذا الأثر دليل عظيم على أن الأمم والشعوب متساوية، فقد أرسل الله الرسل لجميع الأمم، حيث قال {وإن من أمة إلا خلا فيها نذير} سورة فاطر الآية 24، فالعرب ليسوا وحدهم الأمة التي بعث الله إليها الأنبياء، وأرسل لها الرسل، بل إنهم من أقل الأمم حصة في هذا المجال، فقد ذكر الأثر أن عددهم أربعة فقط، وهذا قليل جدا مقارنة بالعدد المذكور. وكون محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والرسل من العرب، لا يقتضي أفضلية العرب على غيرهم، فلعل ثمة حكما نجهلها، في كون الله اختار من العرب خاتم الأنبياء، فإله لا يسأل عما يفعل، وهم يسألون.

³ سورة فاطر الآية 24.

⁴ سورة الشعراء الآية 196.

إبراهيم عليه السلام بالسريانية، فتساوت اللغات في هذا تساويا واحدا¹. وقد ذكر الباقلائي أن نزول القرآن بالعربية لعلته التمييز بينه وبين الكتب الأخرى كالنوراة والإنجيل والزيور، قال الباقلائي في معرض الرد على المعتزلة، حيث ذكر من معاني جعل: أراد في قوله تعالى {إنا جعلناه قرآنا عربيا}²، إنا جعلنا قرآنته وتلاوته بلسان العرب، وأفهمنا أحكامه، والمراد به اللسان العربي، وتكون الفائدة في ذلك الفرق بينه وبين النوراة والإنجيل، لأنه جعل تلاوة الكتابين المذكورين، وإفهام أحكامهما باللسان العبراني والسرياني³.

وأما كون اللغة العربية أكمل اللغات وأتمها وأبينها وأعذبها كما قال أبو حاتم الرازي وغيره، فهو كما قال، وهو أمر نسبي، ثم إن كل من يتقن لغة ما، يفضلها على غيرها، فأبو حاتم الرازي كان يتقن العربية فقط حسب معرفتنا، ولو اتسعت معارفه لدراسة اللغات الأخرى لربما تغير موقفه ورأيه⁴. ولا ريب أن اللغة العربية خصائص ومميزات معروفة، إلا أن هذا لا يعني تقصيلها على اللغات الأخرى، التي تشاطرها في نفس الخصائص والمميزات، ولهذا لما سأل الفيلسوف أبو حيان الأندلسي أستاذه أبا سليمان بقوله: هل من بلاغة أحسن من بلاغة العرب؟ فقال: هذا لا يبين لنا إلا بأن نتكلم بجميع اللغات على مهارة وحذق، ثم نضع القسطاس على واحدة واحدة منها، حتى نأتي على آخرها وأقصاها، وحتى نحكم حكما بريئا من الهوى والتقليد والعصبية والمنشأ⁵. لقد أشار الشافعي إلى بعض هذه الخصائص، حيث قال: "لسان العرب أوسع الألسنة مذهبا، وأكثرها ألفاظا"⁶. وأشار إليها أيضا الشهرستاني (ت548هـ) بقوله: "تميز لسان العرب ولغتهم من سائر الألسنة واللغات بأسلوب آخر من عذوبة اللسان، ورطوبة اللفظ، وسهولة المخارج، والتعبير عن متن الدائر في الضمير، بأوضح عبارة، وأصح تفسير، وصار ذلك شرفا وكرامة لهم"⁷.

فهذه الخصائص والميزات التي ذكرها الشهرستاني وغيره، يمكننا أن نجدها في أي لغة أخرى عندما نتقنها، مع الاختلاف والتباين حتما بين تلك الخصائص من لغة إلى أخرى، كالفارسية والفرنسية والإنجليزية واليونانية. فالأفضلية بين اللغات تحددها الحاجة الإنسانية، فاللغة الإنجليزية في هذا العصر هي أفضل اللغات، لكونها لغة التكنولوجيا والمؤتمرات والاتصالات والرحلات، بل من الصعب جدا للإنسان أن يسافر وهو لا يعرف هذه اللغة العالمية، وهكذا بالنسبة لبقية اللغات، فالعبرية أفضل اللغات لدراسة اليهودية، واليونانية أفضل اللغات لدراسة الفلسفة، والعربية أفضل اللغات لدراسة الإسلام، بل يمكن القول بأن العربية شرط لفهم الإسلام، فإن ضبط الدين بضبط اللسان، ومن هذا المنطلق قال إمام الحرمين الجويني (ت428هـ): "فإن الشريعة عربية، ولن يستكمل المرء خلال الاستقلال بالنظر في الشرع ما لم يكن

¹ ابن حزم: الإحكام في أصول الأحكام 34/1.

² سورة الزخرف الآية 3.

³ الباقلائي، أبو بكر بن الطيب: الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، وهو المعروف بكتاب (الحررة) تحقيق محمد زاهد الكوثري (د.م. ط2، 1421هـ، 2000م) ص72-73.

⁴ ولما كان البيروني، العالم المسلم، والفارسي الأصل (ت440هـ) مطالعا على لغات عدة كالفارسية واليونانية، ولم تكن وجهته كوجهة الرازي، حيث عاب اللغة العربية في كثير من المواطن، وبين معاييبها ونقائصها، ولو كان كثيره متقنا العربية فقط، لاقتصر على مدح العربية، ولربما فضلها على غيرها من أخواتها.

⁵ أبو حيان: المقابسات: تحقيق محمد توفيق حسين (بيروت، دار الآداب، ط2، 1989م) ص261-262.

⁶ الشافعي: الرسالة (بيروت، دار الفكر، ط2، 1997م) ص42. وانظر الشاطبي، أبو إسحاق: الاعتصام (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1417هـ، 1997م) ص452/2.

⁷ الشهرستاني، أبو الفتح عبد الكريم: نهاية الأقدام في علم الكلام: تحقيق ألفرد جيوم (د.م. ط. مكتبة الثقافة الدينية) ص477. وانظر كذلك: الفتوح الهندي: أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم تحقيق: عبد الجبار زكار (بيروت، دار الكتب العلمية، 1978م) ص44/2 حيث بالغ في مدح اللغة العربية بشكل مفرط، وقد ذكر عنه أنه كان يفضل اللغة الفارسية على اللغة العربية.

ريانا من النحو واللغة"¹. بل إن ابن تيمية الحراني (ت728هـ) قد تجاوز ما قاله الجويني، حيث قال: "فإن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب"².

وهذه الأهمية التي ذكرها ابن تيمية الحراني يعطي حكما إضافيا، وهو قدسية اللغة العربية، وكون العربية مقدسة رده حتى بعض المعاصرين، منهم الغزالي المعاصر، حيث قال: "إن الإسلام أضيف على اللغة العربية قداسة جعلت الحفاظ عليها دينيا، وضبط قواعدها عبادة"³. ويأتي كاتب آخر فيوصي كل مسلم: "أن يتعلمها ويتكلم بها ويقدها... فالعربية هي اللسان والإسلام، وكل من تكلم بالعربية فهو عربي"⁴. وهذا كله مجرد آراء واجتهادات أقرب إلى الطابع القومي منه إلى الديني، والأصل أن فكرة تقديس اللغة من تأثيرات الثقافات الأجنبية، ففي المسيحية ثمة تقديس واضح للألسنة، فالكاثوليكية تعد اللغة اللاتينية اللغة المقدسة لتأدية الشعائر الدينية، بينما اللغة اليونانية هي اللغة المقدسة عند الأرثوذكس، كما أن العبرية هي اللغة المقدسة عند اليهود. ولا شك أنه ما من مقدس في الإسلام إلا وثمة دليل يثبت قدسيته، أما مجرد ورود أدلة تثني على أمر، فلا يلزم كونه مقدسا، على افتراض صحة تلك الأدلة، ثم إن المقدس لا يمكن نقده، وإبراز العيوب فيه، وقد قام كثير من علماء الإسلام بنقد اللغة العربية، وبيان عيوبها ونقائصها، كأبي الريحان البيروني (ت440هـ) حيث قال وهو ينقد اللغة العربية: "فإنهم -أي العرب- يسمون الشيء الواحد بأسماء كثيرة جدا، والمثال بالشمس، فإنهم سموها بألف اسم على ما ذكروا كتسمية العرب الأسد بقريب من ذلك... وهم من شابههم يتبجحون بذلك، وهو من أعظم معائب اللغة"⁵. ثم تحدث عن عادة سيئة عند العرب، وذلك عندما يشوهون الأسماء عند تعريبها⁶، ولهذا اتهم الرجل من قبل بعض الباحثين العرب بالشعبوية، وأنه يفتخر بفارسيته⁷. وأمر آخر ينضاف إليه وهو أن اللغة -أي لغة كانت- مجرد أداة ووسيلة للتعبير، فأى قداسة يمكن تصورها لأداة مجردة، إذن فالأمر فيه طابع قومي مصطبغ بصبغة دينية.

أما الأحاديث التي وردت في فضل اللغة العربية فعددها لا بأس به، ولكنها عند المحدثين بحاجة إلى مراجعة نقدية، لأنها لا ترتقي إلى درجة القبول والتعويل عليها⁸. هذه المواقف المتشددة تجاه اللغات الأخرى، تتعارض ومقاصد الإسلام الكلية، وتتناقض مع فلسفة القرآن الكريم، تلك الفلسفة التي تنظر إلى جميع اللغات نظرة واحدة، لكونها جميعها آيات دالة

¹ الجويني: البرهان في أصول الفقه 131/1.

² ابن تيمية: إقتضاء الصراط المستقيم ص188.

³ الغزالي، محمد: حقيقة القومية العربية، وأسطورة البعث القومي (د.م. دار الكتب الحديثية، ط3، 1397هـ، 1977م) ص7.

⁴ الطحان، مصطفى: القومية بين النظرية والتطبيق (الكويت، دار الوثائق، ط1409، 1هـ، 1989م) ص29-30.

⁵ البيروني: في تحقيق ما للهند من مقولة ص185. أكثر علماء اللغة العربية يتصورون أن ما ذكره البيروني ليس عيبا، بل تسمية الشيء بأسماء كثيرة من محاسن اللغة ومميزاتها، ولكن ليس الإشكال في ذلك، وإنما الإشكال أن البيروني جراً على نقد ما تصور أنه مقدس، فلو كان ذلك كذلك لما أقدم عالم مسلم كالبيروني على ذلك.

⁶ المرجع السابق ص126.

⁷ ومن هؤلاء زاهية قدورة في كتابها الشعبوية وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الإسلامية في العصر العباسي الأول (بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 1972م) ص96. وكذلك خليل إبراهيم جفال في كتابه: الشعبوية والأدب، أبعاد ومضمونات من العصر الجاهلي حتى القرن الرابع الهجري (بيروت، دار النضال، ط1، 1968م) ص349.

⁸ ويمكن ذكر أهم تلك الأحاديث والآثار: (1) من تكلم بالعربية فهو عربي، ومن أدرك له اثنان في الإسلام فهو عربي. (2) من يحسن أن يتكلم بالعربية، فلا يتكلم بالعجمية، فإنه يورث النفاق. (3) من أحسن منك أن يتكلم بالعربية، فلا يتكلم بالفارسية، فإنه يورث النفاق. (4) من تكلم بالفارسية، زادت خبثه، ونقصت مروته. (5) قال عمر (رض) ما تعلم الفارسية أحد إلا خب، ولا خب رجل إلا نقصت مروته، إلى غير ذلك من الأحاديث والآثار التي تخالف العقل وفلسفة الإسلام ومقاصده الكلية.

على قدرة الله المطلقة، فمن الخطأ الإزدراء بلغات الشعوب الأخرى، والغريب أن بعض الصحابة والتابعين الأجلاء قد تورطوا في هذا الأمر، حيث كانوا ينظرون إلى اللغات غير العربية، وخاصة الفارسية نظرة ازدراء وتحقير وسوء، حيث ذكر ابن تيمية الحراني أن: "سعد بن أبي وقاص (رض) سمع قوما يتكلمون بالفارسية، فقال ما بال المجوسية بعد الحنيفة؟ وهذا الشافعي يكره لمن يعرف العربية أن يسمي بغيرها، وأن يتكلم بها خالطاً بأعجمية، ثم قال ابن تيمية الحراني معقبا: " وهذا الذي ذكره، قاله الأئمة متأثر عن الصحابة والتابعين، بل لقد كان أحمد بن حنبل يصف الفارسية بأنها لسان سوء"¹. ومالك بن أنس يقول: " من تكلم في مسجدنا بغير العربية أخرج منه"². هنا سؤال يطرح نفسه، هل كان السلف عموماً يحملون أي اتجاه عنصري تجاه الشعوب الأخرى، وخاصة الفرس ولغتهم الفارسية؟ وخاصة أن بعضهم بنى أحكاماً فقهية على ذلك، كالشافعي الذي منع العجمي أن يتزوج عربية، لانتفاء الكفاءة بينهما، لكون العربية شرطاً في الكفاءة³. ظاهراً يبدو الأمر كذلك، ولكن ثمة جملة من الأسباب دفعت السلف لإتخاذ مثل هذه المواقف المتشددة، وغير المتوقعة منهم: يمكن ذكرها في صورة نقاط:

1. ورود بعض الأحاديث والآثار التي تفضل اللغة العربية على أخواتها، وتذم اللغة الفارسية، وهي عند المحدثين لا تصلح للاحتجاج بها.
2. اعتقاد أهل السنة أن العرب أفضل الناس، ففضل الجنس يقتضي فضل اللغة، قال ابن تيمية الحراني: " فإن الذي عليه أهل السنة والجماعة اعتقاد أن جنس العرب أفضل من جنس العجم عبرانيهم وسريانيهم ورومهم وفرسهم وغيرهم"⁴. مع أن

¹ ابن تيمية الحراني: **اقتضاء الصراط المستقيم** ص 188. وقد ذكر عبد الله بن أحمد بن حنبل أن أباه سئل عن الرجل الذي لا يحسن العربية يدعو في الصلاة بالفارسية، قال: لا؟ انظر: أبي يعلى: **طبقات الحنابلة**: تحقيق: محمد حامد الفقي (بيروت، دار المعرفة، د. ط. م. ب. ت) 401/1. مع أنه قد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: أقرب ما يكون العبد من ربه، وهو ساجد، فأكثرُوا الدعاء. صحيح مسلم رقم الحديث (744) باب ما يقول في الركوع. ترى هل شرط النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون الدعاء في الصلاة وخاصة في أوقات السجود باللغة العربية؟ هذا مما لا دليل عليه، لأنه لا يمكن أن نحرم الملايين من المسلمين من هذه النعمة، لكونهم لا يعرفون العربية، ثم إن كلمات الدعاء عامة حسب رغبة الداعي، وهي ليست من كلمات الصلاة المحددة المعروفة.

² الكرمي الحنبلي: **مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم على شرف النسب**: تحقيق: على حسن عبد الحميد (الأردن، دار عمار، د. ب. ط. ص 50).

³ قال الرملي المعروف بالشافعي الصغير: " فالعجمي أبا، وإن كانت أمه عربية، ليس كفاء عربية، وإن كانت أمها أعجمية، لأن الله اصطفى العرب على غيرهم، ويميزهم عنه بفضائل جمّة" انظر: الرملي: **نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج** (مصر، مطبعة الحلبي وأولاده، الطبعة الأخيرة، 1386هـ، 1967م) 257/6. ويذكر الكرمي أن أكثر الفقهاء جعلوا العربية من الكفاءة بالنسبة للعجمي، قائلين فلا تزوج عربية بعجمي. انظر: الكرمي: **مسبوك الذهب في فضل العرب** ص 38. وقد روي عن سلمان الفارسي (رض) قوله: نهانا أن ننكح نساء العرب. وفي رواية عن سلمان قوله: فضلمتونا يا معشر العرب بائنتين: لا نؤمكم في الصلاة، ولا ننكح نساءكم. وهذه الآثار تتناقض مع مبادئ الإسلام العامة، وهي تخالف العقل، ونصوصاً أخرى ثابتة، مع كونها غير صحيحة عند المحدثين، وليس علم الحديث من اختصاص الباحث، وإلا لحقق تلك الأحاديث، ولكن يكفي التعويل على علماء الحديث في تخريج الأحاديث وتحقيقها. ونجد التطبيق الكامل لهذا الفقه عند الخوارج، وهم العرب الأقحاح الخالص، فقد ذكر ابن أبي الحديد المعتزلي الشيعي أن رجلاً من الموالي (الأعاجم) خطب امرأة من الخوارج، فقالوا له: فضحتنا. أنظر: فتاح، عرفان عبد الحميد: **دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية** (بيروت، دار البشير، ط 2، 1417هـ، 1997م) ص 92. بل إن: " رجلاً من الموالي خطب بنتاً من أعراب بني سليم وتزوجها، فركب محمد بن بشير الخارجي إلى المدينة، وواليها يومئذ إبراهيم بن هشام بن إسماعيل، فشكا إليه، فأرسل الوالي إلى المولى ففرق بين المولى وزجته، وضربه مائتي سوط، وحلق رأسه ولحيته وحاجبيه". انظر: أمين، أحمد: **ضحى الإسلام** 32/1. وهذه المواقف الخارجية ليست من منطلق ديني في تقدير الباحث، بل هي مواقف سياسية قومية بحته، لأن الخوارج من الناحية النظرية كانوا دعاة للمساواة بين العرب وغيرهم، وذلك لأغراض سياسية، لأنهم من الناحية التطبيقية كانوا متناقضين، وغير ملتزمين بمبادئهم.

⁴ ابن تيمية الحراني: **مجموع الفتاوى الكبير** 250/32.

هذا الاعتقاد لا يسانده قرآن ولا سنة، بل هو مجرد رأي يعكس ظرفا خاصا، لا يمكن تعميمه.

3. الوقوف أمام الحضارة الفارسية، حيث كان أبنائها يدخلون في الإسلام أفواجا، فلكي تتم عملية القطيعة مع التراث التاريخي الفارسي السابق، لكونه مناقضا مع عقائد المسلمين، أقام السلف سدا منيعا بينهم وبين ماضيهم العقدي، وذلك لكي لا يصاب أحدهم بحنين إلى ماضيه الفكري والأيدولوجي وخاصة الديانة المجوسية، لأنه كان للفرس حضارة وتمدن وتطور وثقافة بخلاف العرب الذي كانوا متخلفين من هذه الناحية، قال ابن خلدون: "ولهذا تجد أوطان العرب وما ملكوه في الإسلام قليل الصنائع بالجملة، حتى تجلب إليه من قطر آخر، وانظر إلى بلاد العجم من الصين والهند وأرض الترك وأمم النصرانية، كيف استكثرت فيهم الصنائع واستجلبها الأمم عن غيرهم"¹.

4. تعظيم شأن اللغة العربية، وتفضيلها على غيرها، وأنها لغة القرآن الكريم، لكي يتسنى لغير العرب تعلمها، ولهذا نجد أن معظم علماء اللغة من الفرس: "فكان صاحب صناعة النحو سيبويه والفارسي من بعده، والزجاج من بعدهما، كلهم عجم في أنسابهم، وإنما ربوا في اللسان العربي فاكتسبوه بالمربي ومخالطة العرب، وصيروه قوانين وفنا لمن بعدهم"².

5. ظهور الحركة الشعبوية التي دعت إلى المساواة المطلقة بين المسلمين سواء كانوا عربا أو عجماء، عرفت الحركة في عهد بني أمية بأهل التسوية، وفي العصر العباسي بالشعبوية، وقد سبق الحديث عن ذلك، وقد بلغ تطرف الشعبويين درجة مفرطة، تحدث عنهم الجاحظ(ت255هـ) بقوله: "فإذا أبغض شيئا أبغض أهله، وإن أبغض تلك اللغة أبغض تلك الجزيرة، وإذا أبغض تلك الجزيرة أحب من أبغض تلك الجزيرة، فلا تزال الحالات تنتقل به حتى ينسلخ من الإسلام"³. وقد تصدى علماء الإسلام لبنيان عظمة اللغة العربية إلى درجة التقديس والتبجيل والتعصب، والملاحظ أن أكثر الذين دافعوا عن اللغة العربية أعاجم⁴، خذ مثلا الزمخشري الفارسي(ت538هـ) حيث يقول: "الله أحمد على أن جعلني من علماء العربية، وجبلي على الغضب للعرب والعصبية، وأبى لي أن أنفرد عن صميم أنصارهم، وأمتاز وأنضوي إلى لفيف الشعبوية وانحاز، وعصمني من مذهبهم الذي لم يجد عليهم إلا الرشق بالأسنة اللاعنين، والمشق بأسنة الطاعنين"⁵. وقال الثعالبي(ت429هـ): "والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسن"⁶.

¹ ابن خلدون: المقدمة 241/1. ومن الذين أشاروا إلى تخلف العرب الحضاري والمدني والصناعي أبو الحسن العامري: الإعلام بمناقب الإسلام ص173، وابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل: تحقيق محمد عميرة ومحمد إبراهيم نصر (السعودية، مكتبة عكاظ، ط1، 1402هـ، 1982م) 195/1، والشهرستاني، أبو الفتح محمد عبدالكريم: الملل والنحل، تحقيق: أحمد فهمي محمد (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1410هـ، 1990م) 368/1، والمقرئزي، أحمد بن علي: الخطط (مصر: دار التحرير، طبعة بولاق، 1853م) 163/4. وابن حجر العسقلاني: فتح الباري 31/1، ومن المعاصرين محمد عبده: رسالة التوحيد ص134.

² ابن خلدون: المقدمة 541/1.

³ الجاحظ، أبو عثمان: كتاب الحيوان (د.م. مطبعة مصطفى الباي الحلبي وأولاده، ط2، 1387هـ، 1968هـ) 220/7.

⁴ وقد بلغ تطرف أحد أعمدة المذهب الأشعري، وهو أبو المظفر الإسفرايني (ت471هـ) أن شكك في أصل الجاحظ العربي من بني كنانة، لكونه صنف كتابا في فضل الموالي على العرب، والمقصود بهم على وجه التحديد غير العرب من الشعوب الأخرى، وخاصة الفرس. انظر الإسفرايني، أبو المظفر: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين: تحقيق محمد زاهد الكوثري (د.م. ط1، مطبعة الأنوار، 1359هـ، 1940م) ص50.

⁵ الزمخشري، جار الله: المفصل في علم العربية (بيروت، دار الجيل، ط2، دت) ص2.

⁶ الثعالبي: فقه اللغة وسر اللغة ص25. والغريب أن هذه العبارة غير موجودة في النسخة الأصلية، فاعله سقط، ولعله من زيادة النساخ.

ومعلوم أن حركة وضع الأحاديث في فضل اللغة العربية ودم اللغة الفارسية ظهرت في العصر العباسي، نتيجة الصراع العنيف بين العرب والفرس، ولهذا نجد ذم اللغة الفارسية فقط دون غيرها. وعليه، فإن اللغات من آيات الله، فلا يسوغ تحقير بعضها، أو رفضها بأي حجة، فإن قيل بأن الفارسية لغة المجوس، ترى ألم تكن العربية لغة الشرك والكفر قبل الإسلام؟، إنه من الضروري جدا الاهتمام باللغات، وخاصة العربية، لكونها لغة الثقافة الإسلامية، بل لا ثقة بعلم من يتحدث عن الدين، وهو غير متقن للعربية، ولكن لا أن يصل الأمر إلى درجة التقديس والتعصب، بحيث أن يضحى المسلم بلغته الأم في سبيل اللغة العربية، لأن ذلك في تقدير الباحث من أمارات تغيير خلق الله، وعدم الرضا بتقسيم الله، لأن الله هو الذي خلقك، وهو الذي وهب لك لغة تتحدث بها مع قومك، ثم إنه قد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه تكلم بغير لغته، وذلك عندما قال: "لأم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص، وكانت صغيرة، قد ولدت بأرض الحبشة، لما هاجر إليها أبوها، فكساها النبي صلى الله عليه وسلم قميصا، وقال: يا أم خالد هذا سنا، والسنا بلغة الحبشة الحسن"¹.

وذكر الثعالبي أن عليا (رض) سأل شريحا القاضي مسألة، فأجاب بالصواب، فقال له: قالون، أي أحسنت بالرومية"². وثبت أن أبا هريرة (رض) قال لمن أوجعه بطنه: " (أشكم بدرد) وهذا بالفارسية، وثبت عن بعض السلف تكلمهم بالفارسية، قال أبو خلدة: "كلمني أبو العالية بالفارسية". ومعلوم مكانة أبي العالية بين أهل العلم، وقال منذر الثوري: "سأل رجل محمد بن الحنفية عن الخبز، فقال يا جارية إذهبي بهذا الدرهم، فاشترى به تنبيزا، فاشترت تنبيزا، ثم جاءت به يعني الخبز"³.

إن هذه كانت ظاهرة طبيعية، فلم يكن الأمر بذلك التعقيد، وهذا مثله كمثل بعض المثقفين الذي يستعملون الكلمات الأجنبية كاللغة الإنجليزية مثلا، في حديثهم ومقالاتهم وأبحاثهم. وقد ثبت أن الفرس طلبوا من سلمان الفارسي (رض) أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية، فلبى طلبهم، وكانوا يقرؤون الفاتحة بالفارسية حتى لانت ألسنتهم"⁴. مع أنه من ناحية الصناعة الحديثة، أو علم الحديث لا يمكن للصحابي أن يقدم على أمر متعلق بالعبادات، إلا بموافقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو في حكم الحديث المرفوع، ولم يثبت أن أحدا من الصحابة أنكر ذلك عليه، وقد نسب إلى أبي حنيفة أنه أجاز الصلاة بغير العربية، لمن لا يعرف العربية، حتى يتمكن من تعلمها، وقيل أنه رجع عن ذلك⁵، وروى الحسن أن أبا حنيفة أجاز الأذان باللغة الفارسية، إذا علم الناس أنه أذان⁶ وقد ثبت أن أحد تلامذة الغزالي (ت505هـ) وهو ابن تومرت البربري (ت542هـ)

¹ رواه البخاري رقم الحديث 5397 باب ما يدعى لمن لبس ثوبا.

² ابن حجر: فتح الباري 9/2.

³ انظر هذه الآثار جميعها ابن تيمية الحراني: إقتضاء الصراط المستقيم ص189. والبيهقي، أحمد بن الحسين : سنن البيهقي تحقيق: محمد عبد القادر عطا (مكة المكرمة، مكتبة الباز، ط1414، 1هـ، 1994م) 143/8.

⁴ السرخسي: المبسوط 99/1. وانظر كذلك: أبو زهرة : أبو حنيفة ص244-245.

⁵ انظر مناقشة المسألة: ابن أبي العز الحنفي: شرح العقيدة الطحاوية: (بيروت، المكتب الإسلامي، ط4، 1391م) 201/1. والباحث يستبعد رجوع أبي حنيفة عن رأيه، لكونه فارسيا يدرك صعوبة ممارسة الشعائر الدينية بالعربية، ولعل القائلين برجوعه يريدون تبرئة ساحة أبي حنيفة من الشعوبية التي غدت تهمة عقديّة خطيرة تلصق بكل من لا يحب العرب والعربية.

⁶ انظر كتب الحنفية حول هذه المسألة : العناية شرح الهداية 465/1، ورد المحتار 12/4. ولا ريب أن ما قاله أبو حنيفة يدل على فقه عظيم ودقيق، والأولى عدم الجواز لسبب بسيط، هو أنه لا يمكن ترجمة الأذان ترجمة دقيقة، ثانيا، إن موسيقى الأذان سيختل، ثالثا، إن الإنسان المسلم في هذه الظروف يتجول بلاد العالم، فكيف لو ذهب مسلم إلى الصين، ووجد المسلمين هناك يؤذنون باللغة الصينية، كيف يمكن للمسلم أن يعرف أن هذا أذان،

استحدث الأذان وخطبة الجمعة بلغته، وهي البربرية الأمازيغية، وذلك لكي يستفيد قومه من ذلك، مع أن أحدا لم يتهمه بالابتداع¹ وقد صنف رسالة بلغته بعنوان المرشد في التوحيد.

أم الخطبة والدعاء بغير العربية، فهذا جائز في رأي الباحث²، حتى ولو كان في السجود في الصلاة، لأن القصد من الدعاء تذكير الناس، فكيف يمكن تذكير الناس بلغة لا يفهمونها، وقد يدعو الإنسان بأدعية مختلفة شخصية، وقد يحتاج إلى وقت السجود، بناء على قوله صلى الله عليه وسلم { أقرب ما يكون العبد من ربه، وهو ساجد، فأكثرُوا الدعاء }³، فهل نحرم أكثر المسلمين من أوربا وأفريقيا والصين والهند وجنوب شرق آسيا، وأمريكا وأستراليا من هذه النعمة؟ وهل خص رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الموطن المبارك بالذين درسوا في قسم اللغة العربية؟ لا ريب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل هذا.

وعليه، فإن اللغة هي مجرد وسيلة وأداة للتعبير والمحادثة، وهي من آيات الله العظيمة، كسائر آياته الثابتة في الكون على اختلافها وتنوعها، فلا يمكن أن نفضل لغة لذاتها على أختها، بل الحاجة الإنسانية هي التي تحدد ذلك، وهكذا بالنسبة للأجناس، فكل جنس مساو لآخر، فليس ثمة جنس أفضل من جنس آخر، لأن ثمة معايير أخرى لإعمال التفاضل بين الأجناس أو الشعوب، كالنقوى والإخلاص والعمل الجاد والإسهام بكافة أشكاله، ولهذا قال الله تعالى { إن أكرمكم عند الله أتقاكم }⁴.

كلمة عن اللغة الكوردية

إن اللغة الكوردية كأخواتها لغة أصيلة وعريقة، لأن أصالة الشعب تقتضي أصالة لغته، قال شاميلوف: " إن الحقائق والاستنتاجات التي توصل إليها (ن.مار)⁵ تبين بوضوح أن الكورد كانوا منذ عهد بعيد أصحاب حضارة متقدمة، وأنهم قطعوا خلال تطورهم عددا من المراحل التاريخية"⁶. والمقصود بتلك الحضارة الإمبراطورية الميديّة *Meedi Empire* وعاصمتها

إلا إذا عالما بلغتهم، بل حتما سيُشعر أنه أغنية صينية، وهذا ينطبق على جميع البلاد، ولهذا قال أبو حنيفة إن كان الناس يعلمون أنه أذان، ولهذه الأسباب لا يمكن الأذان إلا باللغة العربية، وأمر آخر يضاف إليه، أن الأذان إذا قام به شخص سقط عن الباقيين، فهو مجرد إعلام بدخول وقت الصلاة.

¹ صبحي، أحمد محمود: الأشاعرة ص 177-179.

² والغريب أن أكثر خطباء الكورد اليوم يتبركون باللغة العربية، حيث يخطبون ويدعون باللغة العربية، مع أن هذا ليس من أركان الخطبة ولا من شروطها، بل آراء واجتهادات مرفوضة، فالأولى للخطيب الكوردي أن يخطب بلغته الأم، لأن الغرض من الخطبة التذكير، وهذا يتحقق باللغة الكوردية أكثر، وليس من السنة أن يخطب أحدهم بالعربية، بل لو خطب الخطيب بغير لغته، فهو مقصر ومفطر بحق أمته التي تتكلم بلغتها الخاصة، وهي لغة تختلف عن اللغة العربية، وأمر آخر مهم، وهو دعاء الخطيب على المنبر باللغة العربية، والمصلي المسكين ليس له إلا القول بآمين، حيث لا يفهم ما يقوله الخطيب، فلو دعا عليه الخطيب بالموت، قال آمين، وهذا كله جملة وتفصيلا مخالف لفلسفة الإسلام، ناهيك عن المناسبات الأخرى، كالزواج والعقود والعقيقة والختان والمآتم والتلقين على الميت، فاللغة العربية هي الطاغية، مع أن اللغة الأم أولى في هذا النطاق لتحقيق المقصد الأعظم.

³ رواه مسلم في صحيحه، رقم الحديث (744) باب ما يقول في الركوع.

⁴ سورة الحجرات الآية 3.

⁵ نيكولا ياكوفوفيتش مار (ت1934م) من أبرز علماء الآثار واللغة الروس.

⁶ شاميلوف: حول مسألة الإقطاع بين الأكراد ترجمة كمال مظهر أحمد (بغداد، جامعة صلاح الدين، د.ط. 1411هـ، 1990م) ص 12.

(أكبتان أو همدان) تلك الامبراطورية التي أسس بنيانها الكورد في غابر الزمن، وهي تعد عند علماء الانثروبولوجيا *Anthropology* والتاريخ أول حضارة أرية *Aryan Civilization* في تلك المنطقة. فاللغة الكوردية من فصيلة اللغات الهندوأوروبية *Indo-European*، فهي أقدم من اللغات السامية، كالعبرية والعربية والسريانية والآرامية، ولها لهجات مختلفة كبقية لغات العالم، وعليه فإن هذه اللغة ظلت في التاريخ لغة الكورد، وستظل كذلك، وإنه من الشطط أن تكون اللغة العربية الرسمية للبلاد غير العربية، وهكذا بالنسبة لكوردستان، فاللغة الرسمية يجب أن تكون كوردية تحقيقاً لمصالح الناس، وليس هذا ميلاً نحو الشعبوية، بل اعتراف بالحقيقة الواقعية، ولكن لا يدفعنا هذا إلى معاداة اللغة العربية، بل لا يجوز أن نعادي أي لغة، وخاصة العربية التي هي لغة الثقافة الإسلامية، لأن معاداة اللغة قد يجرنا إلى معاداة الدين نفسه، كما حصل لكثير من غلاة الشعبوية في التاريخ، وقد أشار الجاحظ إليهم كما سبق ذكره. فاللغة العربية لا بد أن نحصرها في قضايا الدين، لكنها لا تواكب التقدم التكنولوجي، فاللغات الأخرى هي الأنسب لتلك المهمة، وخاصة اللغة الإنجليزية.

إن جعل اللغة الكوردية اللغة الرسمية في كوردستان، كان من أهم بنود الثورات الكوردية عبر التاريخ، خذ مثلاً تلك الوثيقة التي كتبها الشيخ عبد السلام البارزاني، فقد كان من بنودها: جعل اللغة الكوردية اللغة الرسمية في كوردستان، وخاصة في مجال التعليم، إلا أن العثمانيين كانوا يعتبرون هذه المحاولات الإصلاحية الإنسانية ذات طابع سياسي لمناهضة سلطانهم الديني، ولهذا رفضوا طلبه، وأعدمو الشيخ في سنة (1914م)¹، وليس هذا غريباً فقد رفضوا طلب صلاح الخالدي عندما أراد أن يؤلف كتاباً في قواعد اللغة الكوردية².

التعريب في اللباس

نحن في زمن يعرف الرجال بالقشور والمظاهر والشكليات، وليس ثمة قيمة للعمق واللب والأصالة، ولا ريب أن هذا ظلم بحق العلم والفكر والمستوى الثقافي، فكم من مثقف متدين أكاديمي لا يوثق بعلمه، لكون هيئته غير مقبولة، أو بعبارة صريحة لا يلبس الجبة والعمامة كبقية علماء الدين الكورد، وكم من شيخ يلبس ذلك اللباس، وهو غير متمكن، بل بعضهم لا يعرف من العلوم الإسلامية إلا القليل. وعليه فإن الإنسان يقوم بمستواه الفكري والمنهجي، لا بتلك المعايير الهشة التي لا قيمة لها أصلاً في عالم العلم والمعرفة. ثم إن فلسفة الإسلام أعظم شأنًا من الانشغال بتلك القشور والشكليات التي يدندن حولها البعض، وقد راعى الإسلام عادات الناس وتقاليدهم، فلم يفصل القول في تلك الجزئيات، بل أعطى مبادئ عامة، وقعد أصولاً مهمة، وأصل قواعد أساسية، بحيث لا تصطدم ومصالح الناس، بل إن عمر بن الخطاب كان يحاول بشق الأنفس أن يراعي كل قوم عاداته وتقاليدته وثقافته وأعرافه خشية الاختلاط، فهو الذي نهى أحد الصحابة العرب من أن يلبس اللباس الأعجمي، حيث قال: "إياكم وزى الأعاجم"³ ليس لأنه رضي الله عنه كره اللباس لذاته أي كونه أعجمياً، وإنما أراد أن يحتفظ كل أمة بلباسها القومي،

¹ إسماعيل، زبير بلال: ثورات بارزان 1907م-1935م (كوردستان، مطبعة وزارة الثقافة، ط1، 1988م) ص36.

² بروكلمان، كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير بعلبكي (بيروت، دار العلم للملايين، ط2 1979م) ص63.

³ ابن رجب: فتح الباري شرح صحيح البخاري 89/3.

وذكر ابن خلدون عن عمر رضي الله عنه قوله: "تعلموا النسب، ولا تكونوا كنبط السواد، إذا سئل أحدهم عن أصله، قال من قرية كذا"¹.

فليس مدحا أن يقول أحدهم: إن الإسلام تناول كل شيء، فلو قلنا ذلك فإنه يجب إقفال العقول وتكبيها إلى يوم القيامة، والقرآن الكريم ينقض هذه الدعوى الخطيرة، ويحث على الاجتهاد والتفكير والنظر والتدبر، وذلك لأن البيئات مختلفة، والطبائع متباينة، والسلوكيات متنوعة، والظروف متقلبة، والعالم في تطور وتقدم مستمر، ولا أحد يعلم ما في مكنون المستقبل من أحداث، ولذلك فإن كثيرا من النصوص الدينية هي لمراحل معينة لا يمكن تعميمها لكل زمان ومكان، ولدينا أمثلة، منها الأحاديث الكثيرة حول كون الخلافة لا بد أن تكون في قريش دون غيرها، مع أن ظاهر الأحاديث يقتضي كون رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان متعصبا لقبيلته وعشيرته، لكن حاشاه (صلى الله عليه وسلم)، لأنه (صلى الله عليه وسلم) قصد بذلك مقصدا عظيما أشار إليه ابن خلدون الأندلسي (ت799هـ)، وهو أن القبائل العربية لا يمكن أن تتحد دون سيطرة قبيلة قوية وعظيمة وذات شوكة وهيبة، يقول ابن خلدون: "فإذا ثبت أن اشتراط القرشية إنما هو لدفع التنازع بما كان لهم من العصبية والغلبة، وعلما أن الشارع لا يخص الأحكام بجبل ولا عصر ولا أمة، علما أن ذلك إنما هو من الكفاية... فاشتراطنا في القائم بأمر المسلمين أن يكون من قوم أولي عصبية قوية غالبية على من معها لعصرها ليستتبعوا من سواهم، وتجتمع الكلمة على حسن الحماية"² وكانت قريش بلا نزاع تنطبق عليها تلك الصفات الأنفة الذكر، وعليه يتضح المعنى، فمن الخطأ أن يقول أحدهم: إن هذا الحديث صحيح، ويجب تطبيقه، مع عدم مراعاة مقاصد الإسلام الكلية العامة، ولهذا السبب رفض إمام الحرمين الجويني (ت478هـ) قبول هذه الأحاديث، وأجاز الخلافة في غير قريش، وتبعه كثيرون من علماء السنة³. لا شك أن للبيئة أثرا واضحا في تصنيف الألبسة، فالذي يعيش في البيداء الحارة تتطلب بيئته لباسا خفيفا واسعا، ويفضل أن يكون أبيض لمواجهة حر الشمس ولهيبها، بينما الذي يسكن في منطقة باردة وجبلية كبعض أصقاع كوردستان، فهو بحاجة إلى لباس يقيه البرد القارص، وينبغي أن لا يكون واسعا يعرقل حركته بين طرق الجبال المعتاصة، فاللباس العربي القديم كالجبة والعمامة يناسب البيئة العربية، لطبيعة المناخ العربي، فهو لباس عربي خاص بهم، ومن الخطأ أن نفرض هذا اللباس على غير العرب، لأن لكل قوم ثقافته ولغته وعاداته وتقاليده وعرافه، والإسلام من أعظم الأديان التي تراعي هذه الخصوصيات الثقافية، لأنه معلوم لمن هو مطلع على الأديان، أن كل دين يفرض نوعا خاصا ولونا خاصا، ففي البوذية هناك اللباس الأصفر المائل إلى البرتقالي، وفي اليهودية يفضل اللون الأسود، وفي السيخية اللباس الأبيض، إذن هذا التصنيف من حيث الألوان والشكل من إفرزات الثقافات الأجنبية أو بعبارة أخرى من تأثيرات الديانات الأخرى، فالإسلام لا يهتم بهذه الشكليات والزخارف والمظهرية، فليس في الإسلام لباس ديني، بل إن الإسلام كدأبه يضع القواعد والأسس، ولا يلج في تفاصيل الأمور، وذلك احتراما لعقل الإنسان ليفكر وليدبر حياته العامة، حسب تطورات الحياة المتقلبة، فقد وضع الإسلام بعض الشروط العامة للألبسة مثل أن يكون ساترا للعودة، غير ضيق بحيث يصف الجسم، ولا طويل بحيث يجره من خلفه، ولا للشهرة، وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يلبس ألوانا مختلفة، فقد لبس العمامة السوداء والبيضاء، كعادة عربية لا سنة شرعية دينية، وقد

¹ ابن خلدون: المقدمة 132/1. هذا الأثر الذي ذكره ابن خلدون عن عمر مهم للغاية، وذلك لأنه يبين حقيقة الاختلاف بين العرب الذين يفضلون الانتساب إلى القبائل والعشائر، وبين غير العرب كالكورد الذي يفضلون الانتساب إلى القرى والمناطق، ولهذا نجد علماء الكورد يعرفون بمناطقهم كالشهرزوري والحراني والبوطي والدياربكري والأمدني والرسمي والجزيري والرازياني والأربلي وهلم جرا.

² ابن خلدون: المقدمة 195/1 وما بعدها.

³ انظر تفصيل المسألة في رسالتي للدكتوراه بعنوان أثر الجويني في علم الكلام، مبحث الإمامة وشرط القرشية، (رسالة مقدمة لكلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، 2003م).

حددت له البيئة العربية المعروفة تلك النوعية من اللباس، فقد كان الرجل يأتي إلى المدينة يسأل: أيكم محمد صلى الله عليه وسلم لا يفرق بينه وبين أصحابه، فهذا دليل على عدم وجود لباس خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك صحابته، بل كان الجميع يلبس ما تيسر له من الألبسة العربية في منطقتهم، وحتى بعد ظهور الإسلام لم يطرح أحد من غير المسلمين من كفار العرب إشكالية الألبسة، لأنه في الحقيقة لم يحدث أي تغيير جذري في نظام الألبسة، كل ما حدث بعض الشروط الأساسية، وقد مر ذكرها¹.

إذن البلد الحار كمكة المكرمة تتطلب بينتها لباسا خفيفا أبيض، وعمامة خفيفة تقي الرأس من لهيب الشمس، بينما منطقة كوردستان المعروفة بجبالها الارتفاعات تتطلب لباسا مختلفا كل الاختلاف عن اللباس العربي، لونا وحجما وطولا وعرضا ونوعية، وإنه من عظمة الإسلام أن ترك الناس وشأنهم في عاداتهم وتقاليدهم، ولعن الله عادة مخالفة للشريعة كما يقول ابن الجوزي (ت 597هـ) ومعلوم أن اللباس الكوردي غير مخالف للدين، بل هو أنسب وأجمل مقارنة بالألبسة الأخرى للشعوب الأخرى².

والغريب المضحك أن البعض عد الجبة والعمامة لباسا كورديا، وهذا جهل مطبق بالتاريخ الكوردي والحضارة الكوردية، وهو قول خطير يقتضي أن الكورد أصلهم عرب، مع أن الحقائق التاريخية تنقض هذا، إنني لا أمانع أن يلبس علماء الدين الكورد هذا اللباس، فهذا رأيهم، ولكن أمانع بشدة أن يلبس هذا اللباس باسم الدين، فإن الدين أعظم شأنًا من الولوج في مثل هذه المسائل الشكلية والثانوية.

والقول بأن ذلك اللباس ديني تعريب من زاوية أخرى، ثم إن كل بلد له لباس خاص باسم الدين، خذ مثلا مصر حيث يلبسون الطربوش، وفي الخليج العقال، وفي إيران العمامة السوداء، وفي كوردستان العمامة البيضاء، وفي جنوب العراق العمامة الخضراء، وقد رأيت في بعض البلدان العمامة الملونة بشتى الألوان، إذن هذا الاختلاف دليل على أن ذلك اللباس لباس بيئي، ولكن لم يلتزم كل قوم في كل بلد بلون واحد ونوعية واحدة؟ مع أنني أتحدى أن يجرا عالم كوردي سني أن يلبس عمامة سوداء، والعجيب أن السياسة لم تدع حتى للعمامة راحة، وعليه فإنه ليس ثمة لباس ديني، بل ثمة لباس عربي يلبسه غير العرب باسم الدين، والدين من ذلك كله براء، وأتصور أن تقسيم الألبسة إلى لباس ديني وغير ديني من ثقافات الديانات الأخرى، كالمسيحية واليهودية والبوذية، وقد ذكر الدكتور علي زيعور أن المنديل بطرائفه وأشكاله ورسومه والغايات منه، ذو أصل هندي، قارن مع كلمة مندالا *Mandala* السنسكريتية³.

¹ ولعلنا نشير إلى تغيير بعض العادات العربية من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم، منها نهيه صلى الله عليه وسلم عن الإسبال، وهو طول اللباس بطريقة مفرطة، وتأكيد على قصر الثوب، وهذا بلا ريب ينطبق على اللباس العربي دون غيره، وهنا يظهر تناقض علماء الدين الكورد، حيث يلبسون هذا اللباس اسما من غير تطبيق لما قاله صلى الله عليه وسلم بشأن شروط ضوابط هذا اللباس، من تقصير في الطول والعرض وما إلى ذلك، وعليه فإن ما قاله صلى الله عليه وسلم إنما ينطبق على اللباس العربي، فمن الخطأ الفاحش مثلا أن يقوم كوردي يلبس لباسه القومي بتطبيق تلك الشروط والضوابط على لباسه، حيث نجد بعضهم يقصرون السروال الكوردي فيصبح منظرا مقززًا، لأنه لا يمكن تطبيق تلك الشروط إلا على اللباس العربي، وكم هو مقزز عندما نجد اللباس العربي طويلا يمسح الأرض، أو واسعًا جدا يقطع الطريق أمام الناس، فكل أمة لباسها حسب بيئها.

² وحتى لباس المرأة فإن البيئة هي التي تحدد طبيعته، شريطة موافقة اللباس الشروط الإسلامية المعروفة في الفقه، وعليه فإن النقاب الذي نجده عند بعض النساء في البلاد العربية اليوم كدول الخليج، هو لباس قومي، وعادة عربية، أقرها الإسلام، فهو ليس لباسا واجبا، يجب على كل امرأة مسلمة لبسها، بل المرأة الكوردية تلبس لباسها القومي الذي اشتهر بالجمال والزينة في التاريخ، وهو أولى.

³ زيعور، علي: الفلسفة العلمية والنظرية في الهند والصين (بيروت، دار النهضة العربية، [1]، 1426هـ، 2006م) ص 155.

فالأصل أن هذه الألبسة ربما أخذها العرب من غيرهم كالهنود، وخاصة أن ثمة أصولاً مشتركة بين العرب والهنود كما يقول البيروني (ت440هـ). ثم شيء آخر ينضاف إليه، وهو أن هذا اللباس لباس شهرة، وقد نهى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عنه¹، حيث يعرف الشخص من بين الناس، مع أن الأصل في الإسلام أن يكون الناس سواسية. ولو قال أحدهم كيف يعرف العالم الديني؟ أقول يعرف بمكانه لا بلباسه، فالعالم الديني في المسجد إما خطيب أو إمام أو مؤذن أو قارئ، ثم مالفائدة لكي يعرف من الخارج؟ فإن كان الهدف لكي يحترم، فإن الإنسان بتصرفاته وسلوكياته وأخلاقه يحترم، لا بلباسه وهيئته الخارجية، ثم إن كان الهدف لكي يعرف أنه عالم، ويسأل، فإن كل إنسان يعرف أين يجد علماء الدين، يجدهم في المساجد والجوامع. إذن هذه الحجج واهية أو هي من بيت العنكبوت. وعليه فإنني أدعو كل عالم دين كوردي أن يلبس لباسه الكوردي ويتشرف به، ويتخلى عن اللباس العربي المبين، أو أن يلبس لباساً عالمياً (القاط - البدلة) لأنه لباس عالمي ليس لأحد، ومن الخطأ الفادح أن يتصور بعض الناس أن ذلك اللباس لقوم أو لبلد، فإن كل بلد في العالم له لباسه الخاص التقليدي، وهذا اللباس الذي يلبسه الجميع يسمى *Standard* أي لباس اتفق عليه الجميع ليكون نموذجاً لجميع العالم.

أما الأحاديث الواردة في فضل العمامات فبعضها موضوع وأخرى باطلة والبقية الباقية ضعيفة، ويمكن مراجعة كتب التخريج، منها:

- (1) الصلاة في العمامة تعدل بعشرة آلاف حسنة.
- (2) العمامة على القلنسوة فصل ما بيننا وبين المشركين يعطى يوم القيامة بكل كورة يدورها على رأسه نورا.
- (3) إن الله عز وجل أمديني يوم بدر وحنين بملائكة يعتمون هذه العمة إن العمامة حاجزة بين الكفر والإيمان.
- (4) صلاة بعمامة تعدل خمسا و عشرين صلاة بغير عمامة ، و جمعة بعمامة تعدل سبعين .
- (5) جمعة بغير عمامة ، إن الملائكة ليشهدون الجمعة معتمين ، و لا يزالون يصلون على أصحاب العمامت حتى تغرب الشمس.
- (6) عليكم بالعمائم فإنها سيما الملائكة ، و أرخوها خلف ظهوركم.
- (7) من اعتم فله بكل كورة حسنة ، فإذا حط فله بكل حطة حطة خطيئة.

التعريب في الأسماء

كان العرب في الجاهلية يستعملون أسماء مختلفة حسب الظروف والأحوال والوقائع، وأحيانا يستعملون أسماء أخرى درءاً للتطير والتشاؤم، حيث كانوا يعتقدون أن التسمي بتلك الأسماء يحفظهم من الشرور بشتى ضروبه، كما أشار إلى ذلك ابن قتيبة الدينوري (ت276هـ)²، وربما تجد بعضهم يستعمل أسماء لكي يطابق الشخص اسمه، خذ مثلا : أسد، مرة، فهد، صخر، حرب، عاصية، الصرم، عبد الحجر، حزن، شهاب، ثعلب، ذئب، وما شاكل ذلك، ولهذا لما جاء الإسلام بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم بتغيير كثير من الأسماء التي تحمل معاني غريبة، فقد

¹ والحديث الذي ينهى عن لبس الشهرة رواه أبو داود في سننه رقم الحديث 4590 باب لبس الشهرة.
² الدينوري، ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن (القاهرة، دار التراث، ط2، 1393هـ، 1973م) ص260.

ثبت أنه صلى الله عليه وسلم غير حرب إلى سلم، وحزن إلى سهل، والعاصي إلى مطيع، والصرم إلى سعيد، و غراب إلى مسلم، وعاصية إلى جميلة، وعبد الحجر إلى عبد الله، وهلم جرا¹. ثم أرشد النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه إلى بعض الأسماء التي تحمل معاني الخير والجمال والعبودية والعمل والسلام وما إلى ذلك، ولم يثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم غير اسما كان يحمل معنى سليما، بل غير تلك الأسماء التي تحمل المعاني الفاسدة، تناقض أخلاقيات الإسلام، والغريب المؤسف له أن بعض الإسلاميين ابتدعوا بدعة سيئة، حيث كل من يدخل في الإسلام من غير العرب كالأوروبيين على سبيل المثال، يبدأون بتغيير اسمه إلى اسم عربي، مع أن هذا فهم خاطئ لمقاصد الإسلام، لأنه ربما يحمل اسم الأوربي المسلم معنى سليما وجميلا، فلا حاجة إلى تغييره، وكأن إسلامه متوقف على ذلك، إذن لا بأس للأوربي أن يحتفظ باسمه إذا كان يحمل معنى سليما، ولا حاجة البتة إلى تغييره، بل تغييره جريمة بحقه، وبحق عائلته وأسرته²، ثم إن كثيرا من الأسماء العربية لا علاقة لها بالدين أصلا، مثل مصعب وعثمان ومعاوية وقاص وعروة وما إلى ذلك، فالأسماء الدينية التي أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم هي الأولى بالأخذ بها، مثل (عبد الله وعبد الرحمن وأسماء الأنبياء) كل ذلك مستحب، وليس واجبا، فالإنسان حر في اختيار الأسماء الجميلة والحسنة والطيبة، والتي لا تحمل المعاني الفاسدة. والكورد اليوم بأمر الحاجة إلى إثبات وجوده الثقافي والحضاري والتاريخي، تجنبنا للذويان والانصهار بين ثقافات الدول المجاورة، ولو أن الكورد سمو أبناءهم بالأسماء الكوردية، واحتفظوا بها، لما لجأنا الآن إلى إثبات الأدلة التاريخية على كوردية فلان وعلان، فإن مجرد ورود اسم كوردي يكفي لإثبات أصله الكوردي، فصلاح الدين مع كونه كورديا، لا يزال البعض يشكك في ذلك، لكون اسمه عربيا، بينما صحابي جليل مثل (جابان) *Gaban* يبقى كورديا أصيلا لكون اسمه كورديا.

أهم نتائج البحث

- (1) إن التعريب يرتد تاريخه إلى بني أمية، فهم أول من قاموا بطرح هذا المشروع العنصري ضد الشعوب غير العربية، وخاصة الفرس، ولهذا يعد بعض الباحثين العرب حقبة بني أمية من الحقب الذهبية في تاريخهم.
- (2) لو اقتصر التعريب على الجانب المعرفي في ترجمة العلوم والمعارف، لما كان ثمة ضير وغضاضة، وذلك لأن له ثمارا نافعة في تطوير الثقافة والمعرفة وثورة المعلومات وما إلى ذلك للقارئ العربي، ولمن يتقن اللغة العربية، ولكن الإشكال أن التعريب تحول إلى أداة عنصرية في إذلال الشعوب غير العربية، لتحقيق الأهداف السياسية في خدمة العرب والعروبة، باسم الدين.
- (3) الخلط الواضح بين الدين كوضع إلهي معصوم، وبين العروبة كانتساب قومي تاريخي ثقافي، مع البون الشاسع بينهما.

¹ ابن قيم الجوزية: تحفة المودود بأحكام المولود (بيروت، دار ابن حزم، ط1، 1412هـ، 2000م) ص103 وما بعدها.

² أتذكر أنه كان لي في ماليزيا صديق بريطاني أسلم، وكان اسمه القديم (دنكن) فطلبوا منه أن يغير اسمه إلى عبد الشكور، فقلت له: من الذي سماك، قال: سمّنتي جدتي بهذا الاسم، وهي غضبت عندما علمت أنني غيرت اسمي، فقلت له: وما معنى اسمك (دنكن) فقال: معناه الشجاع والقوي كالأسد، فقلت، ولم طلبوا منك، أن يغير اسمك؟ قال: حتى تدخل في الإسلام، فقلت: وهل أنت راض؟ قال: لا أحب تغيير اسمي، ولكن في سبيل الإسلام سأغير، فقلت له: هذا كله لا أساس له، فما دام اسمك لا يحمل معنى فاسدا، فاحتفظ باسمك القديم، ولا حاجة، إلى تغييره، فاستغرب الأمر، وبدا فرحا، وقال: سأكتب إلى جدتي المسيحية أنني استرددت اسمي الذي كنت تحبينه، وكان يثق بي جدا، إذن هذه كلها ترهات لا أساس لها في الإسلام.

- 4) ومن مفردات فلسفة التعريب أيولوجية أفضلية العرب على غيرهم، وكذلك تفضيل اللغة العربية على أخواتها، كل ذلك من إفرازات الصراع العربي الفارسي، في بداية الحقبة الأموية، إلى نهايات العهد العباسي، وقد انتشرت ظاهرة وضع الأحاديث واختلاقتها، في مدح العرب ولغتهم، ودم الفرس واللغة الفارسية، وربطهما بالمجوسية.
- 5) ومما له علاقة بالذي سبق، مسألة تقديس اللغة العربية، وتفضيلها على اللغات الأخرى، مع أن اللغات من آيات الله الدالة على قدرته المطلقة، ثم إن اللغة مجرد أداة للتعبير فحسب، أما تقديسها وتفضيلها فمن تأثيرات الثقافات الأجنبية، فأفضلية اللغات تحددها الحاجة والظروف.
- 6) لكل أمة لباسها القومي، وليس ثمة لباس ديني معين، فالدين أعظم شأنًا من الانشغال بهذه الشكليات، فقد وضع الإسلام قواعد عامة للألبسة، بحيث لا تخالف الأخلاقيات الإسلامية.
- 7) الحكمة من الأسماء التمييز بين الناس، وذلك تجنبًا للفوضى، فالدين لم يحدد أسماء معينة يجب التسمي بها، بل أثر بعضها، ونهى عن البعض الآخر، فالناس أحرار في اختيارها، فالإسلام رفض الأسماء التي تحمل معاني فاسدة وفاحشة، وقد غير النبي صلى الله عليه وسلم بعضها، لكونها تحمل معاني فاسدة. فالأسماء الكوردية على وجه العموم جميلة تحمل معاني طيبة، فليس التسمي بها مخالفًا لعقائد الإسلام، ولو حمل أي اسم كوردي معنى فاسدًا فإنه يجب تغييره على الفور.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ابن منظور جمال الدين الأفرريقي: لسان العرب (بيروت، دار صادر، د.ط.ت).
- الزمخشري، محمود بن عمر: الفائق في غريب الحديث: تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم (لبنان، دار المعرفة، ط2، د.ت).
- —: المفصل في علم العربية (بيروت، دار الجيل، ط2، د.ت).
- البيروني، أبو الريحان: في تحقيق ما للهند من مقولة، مقبولة في العقل أو مردولة (الهند، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، د.ط. 1377هـ، 1958م).
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1407هـ).
- الجاحظ، أبو عثمان: رسائل الجاحظ: تحقيق عبد السلام هارون (بيروت، دار الجيل، ط1، 1411هـ، 1992م).

- —————: كتاب الحيوان (د.م. مطبعة مصطفى الباي الحلبي وأولاده، ط2، 1387هـ، 1968هـ).
- الدينوري، ابن قتيبة: الإمامة والسياسة (د.م. ط. مؤسسة ناصر للثقافة).
- —————: تأويل مشكل القرآن (القاهرة، دار التراث، ط2، 1393هـ، 1973م).
- أحمد محمود صبحي: في علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين: الأشاعرة (الاسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، ط4 دت).
- —————: في علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين: المعتزلة (الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، د.ط. 1992م).
- غرديه، وقتواتي: فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية : ترجمة: صبحي الصالح وفريد جبر (بيروت، دار العلم للملايين، ط2، 1979م).
- حسين عطوان: الزندقة والشعبوية في العصر العباسي الأول (بيروت، دار الجيل، دت. ط).
- العامري، أبو الحسن: الإعلام بمناقب الإسلام تحقيق: أحمد عبد الحميد غراب (القاهرة، دار الكتاب العربي، د.ط. 1387هـ، 1967م).
- عبدالرازق، علي: الإسلام وأصول الحكم (د.م. ت. ط. الهيئة المصرية للكتاب).
- ابن تيمية الحراني: إقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم تحقيق: عصام الدين الصبابي (القاهرة، دار الحديث، ط1، د. ت).
- —————: مجموع الفتاوى الكبير (د.م. ن. ط1، 1398).
- ابن خلدون: المقدمة تحقيق : درويش الجويدي (بيروت: المكتبة العصرية، ط2، 1416هـ، 1996م).
- ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد تحقيق : عبد المجيد الترحيني(بيروت، دار الكتاب العلمية، ط1404، 1هـ، 1983م).
- الفتوجي، محمد صديق حسن خان الهندي البخاري: الدين الخالص تحقيق محمد هاشم سالم (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ، 1495م).
- —————: أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم تحقيق: عبد الجبار زكار (بيروت، دار الكتب العلمية، 1978م).
- أمين، أحمد: ضحى الإسلام (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط8، د.م).
- المغربي، ابن سعيد: المغرب حلى المغرب: تحقيق شوقي ضيف(القاهرة، دار المعارف، ط3، 1955).
- سميرة الليثي: الزندقة والشعبوية وانتصار الإسلام والعروبة عليهما(القاهرة، مكتبة اللانجلو المصرية، 1986م).
- نيز، جمال: المستضعفون الكورد وإخوانهم المسلمون (لندن، منشورات كوردنامه، ط1، 1997م).
- ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحي الدين الخطيب (باكستان، دار الكتب الإسلامية، 1401هـ، 1981م).
- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد (المدينة المنورة، المكتبة السلفية، دت. ط).
- الهيتمي، ابن حجر: مبلغ الأرب في فخر العرب: تحقيق: يسرى عبد الغني عبدالله (بيروت، دار الكتب العلمية، 1410هـ، 1990م).
- القرطبي: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: تحقيق لقيف من الأساتذة (بيروت، دار ابن كثير، ط1، 1417هـ، 1996م).
- —————: الجامع لأحكام القرآن (د.م. دار الكتاب العربي، 1378هـ، 1967م).

- حنبل، أحمد: **العقيدة**، رواية أبي بكر الخلال: تحقيق عبد العزيز عز الدين السيروان (دمشق، دار قتيبة، ط1، 1408هـ).
- الأندلسي، ابن حزم: **الإحكام في أصول الأحكام**: تحقيق ليف من العلماء (د.م.ب.دار الحديث، 1404هـ، 1984م).
- —: **الفصل في الملل والأهواء والنحل**: تحقيق محمد عميرة ومحمد إبراهيم نصر (السعودية، مكتبة عكاظ، ط1، 1402هـ، 1982م).
- الجويني، إمام الحرمين: **غياث الأمم في التياث الظلم** المعروف **بالغياثي** تحقيق د. عبد العظيم الديب (قطر، الشؤون الدينية، ط1، 1300هـ).
- —: **البرهان في أصول الفقه** تحقيق: عبد العظيم الديب (الدوحة، مكتبة إمام الحرمين، د.ت.ط).
- —: **الكافية في الجدل** (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1420هـ، 1999م).
- جمال الدين الخوارزمي: **مفيد العلوم ومبيد الهموم** تحقيق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري (بيروت، منشورات المكتبة العصرية، 1400هـ، 1980م د.ط).
- عبده، محمد: **رسالة التوحيد** (د.م.ت.دار المنار).
- حسين، طه: **في الشعر الجاهلي** (د.م.دار النهر، ط1، 1996م، 3م).
- زيدان، جرجي: **تاريخ التمدن الإسلامي** (بيروت، مكتبة الحياة، د.ط. 1967م).
- النشار، علي سامي: **مناهج البحث عند مفكري الإسلام، واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي** (د.م.دار المعارف، ط1، 1996م، 3م).
- عوضين، إبراهيم: **ردود إسلامية في قضايا معاصرة** (القاهرة، المؤسسة العربية الحديثة، د.ت).
- إسلام، عزمي: **اتجاهات في الفلسفة الغربية** (الكويت، وكالة المطبوعات، ط1، ج.ت).
- الرازي: **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب** (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ، 1990م).
- الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن: **التبيان في تفسير القرآن**: تحقيق آغاندرك الطهراني (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ط.ت).
- الهيثمي، ابن حجر: **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** بتحرير الحافظ العراقي وابن حجر العسقلاني (د.م.ت.ط).
- مصطفى بن عبدالله حاجي خليفة: **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** (بيروت، دار الكتب العلمية، 1413 – 1992).
- ابن الجوزي، أبو الفرج: **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** (بيروت، دار صادر، ط1، 1358م).
- عبد الحي بن أحمد العبكري: **شذرات الذهب في تاريخ من ذهب** (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط.ت).
- ابن كثير: **البداية والنهاية** (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ط. ت).
- —: **تفسير القرآن العظيم** (بيروت: دار القلم، د. ط. ت).
- الألويسي، شهاب الدين محمود: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1420هـ، 1990م).
- المقدسي، طاهر مطهر: **البدء والتاريخ** (القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، د.ط.ت).
- الرازي، أبو حاتم حمدان: **كتاب الزينة في المصطلحات الإسلامية العربية**: تحقيق: حسين فيض الله الهمداني (القاهرة، مطبعة الرسالة، 1956م).

- الثعالبي، أبو منصور: **فقه اللغة وسر اللغة** : تحقيق جمال عطية (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط.ت).
- الباقلاني، أبو بكر بن الطيب: **الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به**، وهو المعروف بكتاب(الحرّة) : تحقيق محمد زاهد الكوثري(د.م.ط2، 1421هـ، 2000م).
- —: **تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل**: تحقيق عماد الدين أحمد حيدر (بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، 1987).
- التوحيدي، أبو حيان: **المقابسات**: تحقيق محمد توفيق حسين (بيروت، دار الآداب، ط2، 1989م).
- الشاطبي، أبو إسحاق: **الاعتصام** (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1417هـ، 1997م).
- الشهرستاني، أبو الفتح عبد الكريم: **نهاية الأقدام في علم الكلام**: تحقيق ألفرد جيوم (د.م.ت.ط.مكتبة الثقافة الدينية).
- —: **الملل والنحل** تحقيق: أحمد فهمي محمد (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1410هـ، 1990م).
- الغزالي، محمد: **حقيقة القومية العربية**، وأسطورة البعث القومي (د.م.دار الكتب الحديثة، ط3، 1397هـ، 1977م).
- الطحان، مصطفى: **القومية بين النظرية والتطبيق** (الكويت، دار الوثائق، ط9، 1409هـ، 1989م).
- زاهية قدورة : **الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الإسلامية في العصر العباسي الأول** (بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 1972م).
- خليل إبراهيم جفال: **الشعوبية والأدب، أبعاد ومضمونات من العصر الجاهلي حتى القرن الرابع الهجري** (بيروت، دار النضال، ط1، 1968م).
- أبو يعلى: **طبقات الحنابلة**: تحقيق: محمد حامد الفقي(بيروت، دار المعرفة، د.ط.ت).
- الكرمي الحنبلي: **مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم على شرف النسب**: تحقيق: على حسن عبد الحميد (الأردن، دار عمار، د.ت.ط).
- الرملي: **نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج** (مصر، مطبعة الحلبي وأولاده، الطبعة الأخيرة، 1386هـ، 1967م).
- فتاح، عرفان عبد الحميد: **دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية** (بيروت، دار البشير، ط2، 1417هـ، 1997م).
- المقرئزي، أحمد بن علي: **الخطط** (مصر: دار التحرير، طبعة بولاق، 1853م).
- الإسفرايني، أبو المظفر: **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهاكينة**: تحقيق محمد زاهد الكوثري (د.م.ط1، مطبعة الأنوار، 1359هـ، 1940م).
- البيهقي، أحمد بن الحسين : **سنن البيهقي** تحقيق: محمد عبد القادر عطا (مكة المكرمة، مكتبة الباز، ط1، 1414هـ، 1994م).
- أبو زهرة، محمد: **أبو حنيفة حياته وعصوه، آراؤه وفقهه** (د.م.ط.ت. دار الفكر العربي).
- —: **تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية** (د.م.ط.ت.دار الفكر العربي).
- ابن أبي العز الحنفي: **شرح العقيدة الطحاوية**: (بيروت، المكتب الإسلامي، ط4، 1391م).

- شاميلوف: حول مسألة الإقطاع بين الأكراد ترجمة كمال مظهر أحمد (بغداد، جامعة صلاح الدين، د.ط. 1411هـ، 1990م).
- إسماعيل، زبير بلال: ثورات بارزان 1907م- 1935م (كوردستان، مطبعة وزارة الثقافة، ط1، 1988م).
- بروكلمان، كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية ترجمة : نبيه أمين فارس ومنير بعلبكي (بيروت، دار العلم للملايين، ط2ن 1979م).
- زيعور، علي: الفلسفة العلمية والنظرية في الهند والصين (بيروت، دار النهضة العربية، ط1، 1426هـ، 2006م).
- ابن رجب: فتح الباري شرح صحيح البخاري (د.ت.م.ط).
- ابن قيم الجوزية: تحفة المودود بأحكام المولود (بيروت، دار ابن حزم، ط1، 1412هـ، 2000م).
- التريزي: مشكاة المصابيح تحقيق محمد ناصر الدين الألباني (بيروت، المكتب الإسلامي، ط2، 1399هـ، 1985م).
- مصطفى، عرفات كرم: أثر الجويني في علم الكلام (رسالة مقدمة إلى كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية- ماليزيا، 2003م).
- مجلة التجديد (ماليزيا، السنة الخامسة، العدد التاسع، 1421هـ، 2001م) الفارسي، إبراهيم أحمد: أبعاد ضرورية وحضارية وضرورات حاضرة في تعليم اللغة العربية لأبناء العالم الإسلامي.
- Bosworth C. E, van Donzel, Lewis, B, & Pellat, CH, (eds), *The Encyclopedia Of Islam*, (Leiden,: E. J. Brill. 1986).

المؤلف في سطور

ولد الدكتور عرفات كرم مصطفى المعروف بأبي شوينكار من قرية ستوني بمنطقة بارزان سنة (1972)، أكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة بميركسور، ثم التحق بإعدادية الدراسات الإسلامية بالموصل، ومن ثم التحق بجامعة بغداد، لكن الظروف السياسية والاقتصادية حالت دون تحقيق ذلك، ثم التحق مباشرة بجامعة دهوك - كلية الشريعة، وكان من الأوائل، نال درجة الماجستير والدكتوراه بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، قسم أصول الدين ومقارنة الأديان، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، وهو الآن أستاذ بكلية القانون بجامعة صلاح الدين -سوران. ويشغل منصب الأمين العام لمنتدى الفكر الإسلامي في كردستان. له بحوث ومقالات عديدة منشورة وكتب مطبوعة.